لماذا اخترنا الإِسلام

ولماذا يعـــــادونه

الطبعة الأولى

2020 م 1441 هـ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق.

لماذا اخترنا الإِسلام
ولماذا يعـــــادونه

تأليف

محمد بن فوزي الجبالي

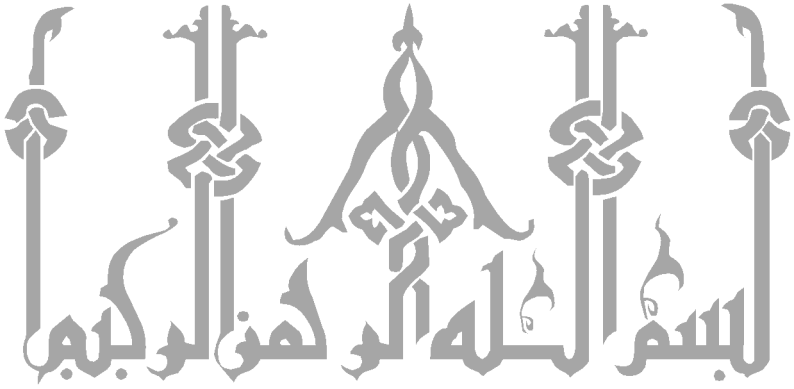
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

لكُلِّ من كان ناصحاً مُحبا أضاءَ لنا جانباً من الطريق لأُتمَ
هذا الكتاب
ولوالديّ حفظهما الله ورحمهما كما ربياني صغيراً
ومن عطفهما علي أنفقا كثيرا
وطن كانت خيرَ بيت وأجمل سكن
ولكلِّ وجهٍ مشرق أشرق علينا ورأينا منه خيرا
وأخُصُ أخينا علاء الجمزاوي من جميل الأصحاب
أُهدي هذا الكتاب
وأرجو الله لنا ولهم خير الثواب وحُسن المآب

أبو إسلام

***

المقدمة

بسم الله مالك المُلك الأول بلا ابتداء الآخر بلا انتهاء لا يَفنى ولا يَبيد ولا يكون إلّا ما يريد، خَلقَ الخلق أجمعين وجعل الإسلام هو الدين من أخذ به وسَلَّمَ أمرهُ لرب العالمين سَلِمَ وكان من الفائزين ومن عاداه واتبع هواه أَثِمَ وكان من الخاسرين.

والحمد لله حمداً يبلغُ المنتهى والشكر له سبحانه على نعمه التي لا تحصى حمداً موصولاً مع الخوف منه والرجاء والصلاةُ والسلام على خير الأتقياء وإمام الأنبياء سيدنا محمد خير من عبدَ الله وبَلَّغ عنِ الله، وصلاة على آل بيته الأطهار وصحابته الأخيار وعلى من تبعهم بإحسان وحسن اختيار أمّا بعد:

هذا كتابٌ مختصر في جزأين، جعلنا جُزئَه الأول: (**لماذا اخترنا الإسلام**) ووضعناه تحت (عذبٍ فُرات)، فيهِ نُبيِّنُ ضوابط اختيار الدين الحق، ودلائل من كان حق وقطعاً هو الإسلام ولا أحق منه، فيرى بذلك من كان على الإسلام أنَّه على الحق فيزداد يقيناً على يقين ويعلو في التمكين، وفيه يعلمُ غير المسلم ما هو عليه وما هو الحق الواجب إتباعه وإنْ كان يريدُ الصواب ويبحث عن الحق فليُمَرِرْ ما ورد فيه من ضوابط ويجعلها مقياسا يقيس عليها أمره، فإن كان عنده خير ويريد الخير فلا بد أن يلتحق ويركب سفينة النجاة ويسلم نفسه لله عزَّ سبحانه.

وفي جزئنا الأول أيضاً فيضٌ من غيض جمالات الإسلام وأنواراً من حكمته وعلو أمره وكمال طرحه التي وسعها الإسلام واحتواها ولا توجد في غيره، فأولُ أمر الكتاب في جزئه الأول عذبٌ رائق وجمالٌ فائق هوَ دعوةٌ وتثبيت وبيان وتحقيق.

أمّا جزئنا الثاني: بعد فاصل بينهما برزخ فقد تناول موضوع (**لماذا يعادونه**)، وقد جعلناه تحت (ملحٌ أُجاج) وفيه نُبيِّن على طريقةِ التحليل والتشريح حالَ من لجأ إلى العَداء ومن جعلَ الإسلام نِداً أكنَّ له العِداء، فيكون الجزء الثاني أيضاً للمسلم بياناً وتوضيحا لحال من يكيد به ويتحرق للنيل منه وفي ذات الوقت يعلم لِمَ يُراد أن ينال منه ومن منهجه ودينه فيكون بذلك مدركاً بما يحيط به ولماذا هذا حاله الذي وصل إليه،

فيستفد مما حصل في الماضي وما يحدث في الحاضر، وبما عنده من الأخذ والفهم عن الأصول فيعلم أنَّه سُنة كونية وجب أن يزيدَهُ فِهمُها ثباتاً على ما هو عليه وأن يستعد لما هو قابل وأنَّ ما يكاد لدينه ويراد به التأثير عليه لهُ شخوصٌ وأفراد وجماعات لم يألَوا جهداً فيما يفعلون فكما أنَّهم ينشرون أمرهم فإنهم يحاولون مع جهدهم النيل من الإسلام، فهنا يستبين بعض شخوص هؤلاء وما هو حالهم وما هي أطماعهم وطموحاتهم ولماذا يفعلون ذلك وماذا يتأملون، وكل هذا العلم عنهم يشكل مناعةً لنا كمسلمين واستعداداً لما فعلوا وما قد يفعلون فيكون الإِعداد أقوى والوعي أكبر.

وإنَّنا ما قمنا بهذا الجهد –وإن كان مقلاً ولكنه غير مخل– إلّا دفاعاً عن ديننا وحباً فيه؛ فهو حياتنا وأمرُ ربِنا وصلاح أمرنا، وإنَّ عالميةَ رسالة الإسلام لتدلُ على تلك الخيرية في أُمته التي جعلتهم يحملون راية النور والهدايةَ للعالمين ودلالةً أيضاً أنَّ جانب الحق واحد وجانب الضلال واحد، فمن تناول جزئنا الأول من الكتاب عرِفَ ضوابط ودلائل الحق وزاد عِلمهُ به ومع تناوله للثاني عرَفَ ما يكاد له فازداد تمسكاً به ونافح عنه وحافظ عليه، وما تلك المحبة والتمسك والحفاظ على الإسلام إلّا من حِفظ الله له، فقد تُعِهِّدَ بحفظِه فلن يصيبه شيء لكنها سحبٌ متناثرة تحاول أن تُمطر علينا لوثاتِهم وعَدائهم وما تلبث أن تنقشع فشمس الإسلام أحقُ وأقوى من ظلامهم وسوء أفعالهم وعدائِهم.

فيا أخي الكريم هاك بين يديك دلائل الجمال ونقيضه من وصف وفِعل أهل الضلال فأَحْكِم أمرك وأَطع ربك وَاعلم ما أنت عليه وما يحاك ضدك ولا يغرنك بريقهم فما ذاك إلّا وهمٌ كاذب ونورٌ خافت وضلالٌ مُعاقبٌ فاعله، ولتكن على خط حمايةِ الإسلام وعلى ثغرةٍ من سورهِ فلا يؤتى من قِبَلِك ولا تَتَبع من كان عدوه وعَدوِك فإنَّنا وإياهم لمجتمعون عند رب عزيزٍ عليم وسيحاسبهم عما كانوا يفعلون.

والحمد لله رب العالمين الذي وفقنا بما تَكرَّم بهِ علينا من فهم لنُبيِّنهُ – على ضعفنا – للناس راجين منه سبحانه القَبول والسداد والثبات، وإنَّ ما كان حقاً فمن عِنده سبحانه

وما خلا ذلك فمن أنفسنا نستغفره سبحانه عليه، ونشكره ونحمده أن جعلنا من أهل الإسلام راجين داعين أن يثبتنا عليه وأن نلقاه بذلك وأن نجتمع مع إخوتنا في الدين وأهلينا ونبينا عليه السلام والتكريم في الجنَّة أجمعين.

****

الجزء الأول

عذبٌ فرات

لماذا اخترنا الإِسلام

لماذا اخترنا الإسلام؟

الإسلام ذلك الدين القَيِّم، لماذا اخترناه؟

سؤالٌ ندخل به إلى عالم الإسلام ونفتح به أبواب الإدراك مشرعةً لنتعرف عليه عن قرب، عن مفهومه وتعريفه، وعن غاياته ومقاصده، وعن علوه وأصوله، وعن جمال أمره وكمال طرحه.

والسؤال هنا ليس إنكارياً؛ بل بيانٌ وتحقيق نصل بمركب إجابته إلى شاطئ الإقناع والأرض الثابتة التي نقف عليها نحن كمسلمين وبنينا عليها حركة حياتنا، وانتظام أمرنا، ونبضات إيماننا، ونرجو من تلك الإجابة أن تكون لغيرنا دعوةً لمعرفة هذا البناء العظيم، والصرح الشامخ، والمنهج الكامل، والشريعة العلوية، التي لامسناها في كل أمرنا ونود أن يشاركونا في الإتباع والامتثال، ليَحصُلوا معنا على الخيرية المترتبة على ذلك، وإنَّ هذه المشاركة والتي هي بدايةً من باب الدعوة، لم تقتصر على أحدٍ دون أحد، وليست حكراً لأحد، فهذا غيض من فيض الجمالات المرتبطة بهذا الدين الكريم، الذي كان للعالمين، تلك العالمية التي جعلت منه وعاءً للرحمة يستوعب الجميع، ويشترك مع القديم مما سبق من الرسالات السماوية والتي كانت كلها تدعو إلى ذات الغاية، وهي التوحيد الخالص والعبودية لله وحده، فكل رسالةٍ سبقت هي الإسلام العام بمفهومه في التسليم لله سبحانه بالوحدانية والامتثال، وديننا الذي هو آخرُ الرسالات، والظاهر للجميع والمعلوم لكل أحد، ورسولهُ محمد ﷺ هو الدين الخاص، وآخر الرسالات السماوية، والتي تشترك كلها بإيجادها من ذات المصدر والمُشَرِّع وهو الله سبحانه وتعالى، وإنَّ إجابتنا مهما علت ومن التفاسير والبراهين قد جمعت، إلّا أَنَّها تبقى قاصرةً على الوصول لشواهق الكماليات وروائع الجماليات لهذا الدين، وإنَّ هذا القصور ليس منفذاً لتعييب العلة، أو الطعن في صحة الاختيار، بل هو تقصير منا على مكافئة ذلك المنهج الرباني بما يناسبه من العلو والتنوع في زوايا الكمال الذي خلا من كل نقص أو عِلة، وكيف لا وهو شرعةٌ ربانية اقتبست نورها من حكمة الخالق وكمال رحمته وسعة

علمه سبحانه...

وللإجابة عن هذا السؤال، الذي قلنا إنَّه معنا حِراكاً تعبدياً متمثلاً في التطبيق والتحصيل الواقع والمأمول، ودعوةً لغيرنا ليعرفَ صلاح ديننا وصحة اختيارنا وما عليه أمرنا، ارتأينا أن نجعل الإجابة بأسهل طريقة وأسلس نَظم، بأن تكون على شكل نقاط، نُبيِّنُ كل نقطةٍ منها ودَليلها الذي بنيناهُ عليها، مع شرحٍ موجز ليفهم القارئ منها ما استطاع، فتتسع مداركه شيئاً فشياً، ليحصل بعد اكتمال النقاط أو من خلال بعضها على الإجابة الشافية والقناعة الكاملة بصحة هذه الرسالة اختياراً وقبولاً وصلاحاً للامتثال والإتباع، مع ذكر بعض الشروح الهامة قبل النقاط؛ لتكون قاعدة في الفهم، لمعرفة حال السائل كمخلوق وبيان أمره وعلاقته مع وجوده وموجده، ولماذا أُوجِد، وما هي الغاية من الوجود، وما بعد ذلك الإيجاد، وما هي درجته ومنزلته فيما أُوجد من المخلوقات، وبذلك الفهم نستطيع أن نبدأ الإجابة عن سؤالنا، لماذا الإسلام؟

فابتداءً من علاقته مع الوجود واحتياجه للموجِد وضرورة ذلك الدين لأنَّها تلك العلاقة بين الواجِدْ والمُوْجَدْ؛ أي العلاقة بين العابد والمعبود لنبدأ في حصر ماهية الدين وأيها صالحٌ منها ومن ينطبق عليه شروط الاختيار الصحيحة، فنتدرج بذلك في إيجاد ما صح من الأديان إلى أن نصل إلى مطلق الصواب في الاختيار وذلك بالمقارنة وبإيقاع المختار منها على المقاييس في الاختيار الأمثل، ولا بد لنا ضرورةً هنا أن ننوه بأن تلك المقاييس وجب أن تكون على أعلى المثالية وأكملها للأخذ بها وأن تتوافق مع النقاء في الأفضلية، والصفاء في الفطر السليمة والعقول المستنيرة، مع إيجادها للخيرية في المُجمَع عليه في كل جانب، ومحققةً للغاية المثلى التي أجمع عليها كل من استنار قلبه بالإيمان الفطري بتوحيد الخالق والتسليم له بالعبودية والإتباع، ومن ثم بعد يقيننا أنَّ الإجابة ستكون هي الإِسلامُ قطعاً وأنَّه الوحيد الذي استوفى جميع الضوابط نذكر أيضاً تلك النقاط التي ترشح ذلك الدين ليكون هو الاختيار الموافق للصحة والموافق لمراد الله سبحانه ولا غيره يصلح أن يعتبر كدينٍ حق...

خلق الإنسان، ما هو، وما هي منزلته؟

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣﴾ [الرحمن: 1-3].

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٩٠﴾ [آل عمران: 190].

قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٗۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝١٠١﴾ [الأنعام: 101].

إنَّ الحياة بحركتها وما فيها من تعدادِ مخلوقات، وما حوت من بديع الكائنات، وعظيم خلق الأرض والسماوات، وذلك التنظيم الذي لا يستطيع العقل أن يستوعب منه إلّا ما أُذن له، لا يتأتى بأي شكل كان أن تصدر عن نفسها وأن تُوجد من عدم، فهي أصلاً من عدم، ويستحيل قطعاً أن يأتي شيء من العدم، فالمعدوم أصلاً لا تأثير له ولا وجود، فكيف يكون مُؤَثِراً أو موجداً وهو في ذاته غير معدود، فلذلك إيماناً فطرياً وتعبدياً، وعقلاً مدركاً، وقياساً على كل وجه صحيح، وعلمياً وعملياً لا بُدَّ من خالق وموجِد من العدم، له القدرة المطلقة والصفات الكاملة، وموجوداً قبل الابتداء وله تلك القدرة قبل الإنشاء، فأفعاله وصفاته سبحانه أزلية قبل الحدث، ومن كمال الصفات تفردهُ سبحانه بها، فلا ند له ولا شريك، وهذه الاستقامة والحكمة في الإيجاد، وهذا البديع المطلق يستحيل أن يكون هناك تشارك فيه في الإيجاد أو القدرة على الإتيان بمثله أو حتى بشيءٍ يقترب من مثله.

قال تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢﴾ [الأنبياء: 22].

قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ۝٣﴾ [الفرقان: 3].

ومن عظيمِ خَلقِ الله خَلْقُ الإنسان، ذلك المخلوق الذي خلقه سبحانه بيده ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته تكريماً له، وخَلَقَهُ لغاية عظمى وتكرُمَةً له؛ والغايةُ هي عبادة الله وحده لا شريك له، والتكرمة بأن يتعرف على ما قُدر له من عظيم الصفات للخالق الواحد الأحد سبحانه وجل في عليائه، وَوُهب له خالقه سبحانه عقلاً يُدرك به المُدركات ويفهم الخطاب ويؤمنُ بالغيبيات.

وقد قال ربنا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: 56].

والمخلوقات، فمنها ما كان يعقل ومنها بلا عقلٍ مدرك، والعاقل إمّا مجبولٌ على الطاعة وليس لديه إرادة في الاختيار كالملائكة المكرمين، أو ما كان من إنس أو جن فهو عاقل له قدرةٌ وإرادة على الاختيار، وكلٌ تحت مشيئة الله وعِلمه بتلك المشيئة الكونية أو الشرعية وبذلك العلم المُحكَم الكامل المحيط.

وهناك ما هو غير عاقل ونراه فيما كان من الحيوانات بأنواعها وسائر النباتات والجمادات، وخلقُ الله ليسَ أعلم به منه سبحانه، وليس لنا من العلم إلا ما قدَّر لنا أن نعرفه، فَعِظمُ المخلوقات أَعظم من أن يُدرَك كنهها أو أن نُدرِك أمرها، فسبحانه، فما عِلْمُنا إلى علمه بشيء، فهو العليم الحكيم المحيط الكريم وسبحانه إذ قال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: 85].

فعلم الله أزلي وهو سبحانه متصف بالعلم الكامل ولا يحتاج إلى غيره ليعلم، ونحن لا نعلم إلا بما عُلِّمنا وما اكتسبته ادراكاتنا من خبرات وما دخل علينا من الجوارح والحواس، فسبحان الله القائم بذاته غير المحتاج لمخلوقاته ونحن الذين إليه فقراء... ودائرتنا في المخلوقين هي حول الإنسان، وكما قلنا فقد خُلق وجُعِل له عقلٌ يدرك به، وقد أنيط بذلك الإنسان مع العقل التكليف وحمل الرسالة، تلك الرسالة التي هي أشرفُ علاقة بين الخالق والمخلوق، فهي علاقة العبودية بين العابد والمعبود، فأيُّ أعظم من ذلك التشريف بذلك التكليف الذي ربط بين الخالق سبحانه وتقدست أسماءه وبين الإنسان، وجَعْلُهُ على علاقةٍ دائمةٍ به بالعبودية، والتوجه إليه بالقلب

والروح والجوارح، فالإنسان بما أوجد له الخالق سبحانه من عقل وفطرة ليميل ميلاً حقيقياً للارتباط والخضوع لباريه، وهذا الخضوع ليس نقصاً بل هو كمالٌ في التكريم للإنسان والغاية من الخلق، فهذا الارتباط بعلاقة العبودية تشريف وخيريةٌ للعبد وإكمالٌ للتكريم والإيجاد اكتمالاً يستشعر به دوره في الحلقة الوجودية لنفسه وإعمالاً داخلياً لما يميل إليه من نوازع فطرته النقية، وإن تلك العلاقة الكريمة وهي الدين، فقد علمنا منها كمسلمين بما اخبرنا به رب العالمين ماهية الأمر وعلى أي أساس أقيم ولماذا أوجد، وهذا من كمال الحلقة وملازمة التكريم وبالإبلاغ بعد التمكين بالاستخلاف.

فالإنسان في ذاته وكيانه وما لازم فطرته يحتاج إلى الدين احتياجاً أساسياً ليسقي تلك الروح العطشى بعد اللقاء الأول مع خالقها لتبقى في حلقة الارتباط والمعية، وهناك احتياج الجسد الفاني الذي استقر في نفسه وعلم من غيره أَنَّهُ إلى نهاية، فكان لا بد أن تكون تلك النهاية امتداداً للبداية وتواصل معها بفهمٍ وإدراكٍ إيماني يجعل المسير إليها معتدلاً موافقاً مُسيراً إيجابياً للعبور من البداية إلى النهاية، والبدايةُ هي دار الدنيا والنهاية هي دار الآخرة، وهذا في أمر المسير.

أمّا ما كان في الدور الذي ينتهجه الإنسان في تلك الرحلة، فهذا مطلب ثالث يضاف إلى حاجة روحه وإدراك أمره في إيجاده، وما ذلك الجسد الذي يُعَبِر عن سكن الروح ونوازع الفطرة ومُستقبِل الأحداث ومدرك الأمور بما أُكرم به من عقل مُيز به عن غيره وما حوى من جموع النوازع والرغبات والاحتياجات، فكان لا بد حقيقةً مكملة أن يُلبي كل ذلك بما يعينه على رحلته ويوصله لغايته ويهذب له أمره وينظم له حياته ويبين له صحيح فِعله ويعلمه كيف يتقرب إلى ربه وينفذ ما أُوجد لأجله، وأكثر من ذلك وأوسع، ولا تجد ذلك إلّا في الدين الذي هوَ شِرعة رب العالمين لتنظيم أمرهم وتوجيههم إلى طاعته تكرمةً منه بعد أَن خَلقهم ومكَّن لهم أمر معيشتهم واستخلفهم في الأرض ورفع قدرهم فكان كل شيء تحت أمرهم بما ارتفعوا عليه من تقدير تَعَلق بمرتبه التكليف وما حملوا من تشريف.

إذا فندرك إدراكاً مرتبطاً باليقين لدينا، أنَّ اختيار الدين نابعٌ من الاحتياج له بعد الأصل وهو طاعة الخالق؛ ليكون منظماً لحركة الحياة كوجه ملازمٍ للاستخلاف وموجهاً سامياً للغاية وموجداً للاستقرار الإيماني كوجه غيبي، فهو جامعٌ لاستيعاب الملموس بوضعه في القالب الأمثل للتطبيق، وبين إدراك الغاية وفهم المقصود واكتمال الصورة لما بعد الموجود، بمعنى هو الدليل للإنسان في حياته ولما بعد مماته، فَفَهْمُ الرحلة التي يمر بها الإنسان في ضوء منهج كامل يعطي ذلك الإيمان، والإقبال المترتب على تلك الحالة من الثبات الإتزاني لفهم العمل وما يترتب عليه، ويعطي أيضاً إدراكاً فطرياً ملائماً للعلة من ذلك العمل وفق تلك التعليمات المتوافقة مع النقاء الأول، وَوَجبَ تلازماً مع تلك الحاجة الملحة لاختيار الدين أن يكون الاختيار مقترناً بضوابط وأسس ذات طابع كمالي ومقياس علوي، وأينَ يتأتى هذا الاختيار الأكمل والأمثل إن لم يكن بتوجيه ورضا من الموجِد نفسه؟

فالموجِد وهو الخالق سبحانه خَلق الخلق، وهو أعلم بهم، وأعلم بما هو خير لهم، وهذه الخيرية وهذا الكمال في التوجيه على كل وجهٍ وجانب، لا يكون إلّا في الرسالات السماوية، وهذا هو عين الحق، فإذا كان الخالق واحداً سبحانه والمكَلف مخلوقٌ من قِبَلِه فتكريماً من الخالق ورحمةً وتوجيهاً جعل له الدين لينظم له حياته، وليبقى ذلك المخلوق في علاقةٍ مع ربه يكافئه عليها ويرحمه رحمات عليها بعد رحمة هدايته بالدين، فأي جمال ورحمة هذه، وأيُّ معادلة أركانها مكتملة بهذا النسق المتين الكامل رحمةً ونعمة من الله سبحانه لعباده، فتبارك الله رب العالمين.

فالإنسان وهو المكلف والمحتاج للدين لا يستطيع أن يقرر لنفسه الأمثل في الاختيار دوناً عن ذلك التوجيه والإبلاغ؛ لأنَّ ما كان اختياراً قائماً على الجهد والفكر البشري فأنَّه سيكون مبنياً على تراكمات الخبرة والتجارب عمن سبق من أمثاله أو مِن اجتهادات أقرانه، والتي تحمل في ذاتها تغييباً في الربط بين الموجِد والمُقَرَر، وتحمل أيضاً طابع الاضطراب في الاختيار والنتائج مع النقص في المثالية، لذلك فالصوابُ قطعاً أن

يكون الاختيار بناءً على توجيه الموجِد، وان يكون الموجد ليس طرفاً منتفعاً أو متأثراً من الاختيار، ومعلومٌ علماً أسطع من رؤية الشمس في الظهيرة أنَّ الموجِد هو الله سبحانه الخالق، وإن الطرف الذي نال الخير ومُنَّ عليه بالهداية هو الإنسان أو المكلف، فبذلك يسقطُ كل ما يُعتقد انه دين إلّا ما كان من هذا الجانب المتعلق بالوحي لأَنَّ كل ما كان اعتقاداً أو دياناتٍ غير سماوية فهي فقيرةٌ في ذاتها مضطربة في عطائها، متغيرة في أمرها وأصولها الواهية، فهي ما كانت إلّا جهوداً بشريةً عمياء كبدائل لتحقيق حالة من التوازن الروحي دونما استناد على قواعد كاملة أو تشريعات علوية، فالمقياس عندها لا يصح اعتماده لعدم صلاحيته فيما قام عليه في ذاته ولغيره فإن تلك الديانات أو أي معتقد خالٍ من وحي وتوجيهٍ إلهي لم يتناول شمولية الحياة وما بعدها، بل تناول جانباً عَرضياً من أصل العموم، وإنَّ حالة الاضطراب واضحة، والتباين في متغيرات التوجيه فيها متعددة ليس اعتماداً على المراعاة أو التطوير الملازم للثبات، بل التغير الملازم للنقص وغياب المثالية والمراد وانعدام الكمال في الإدراك بين الموجود والمُغَيَّب، وحتى وان كانت هناك صورٌ وضعت لتخفيف ذلك النقص الحاد والتخبط فما زال حتى المُستحدَث منها يعتبر في حد ذاته تعديلاً قابلاً للتعديل أو النقد والترشيح.

إذا فالسؤال الحق لمن أراد الدين الحق في ضوء هذا التعداد الذي نشهده في العالم لعدد الأديان، هذا التعداد الذي لا يدل إلّا على النزوح عن أصل المصدر والإشراك في الألوهية وتغييب الفطرة وتأليه ما لا يحق له أو يجوز أن يكون إلاهاً، ولو سألَ سائلٌ هنا أليس هذا العدد دليلاً على منافسة دينكم كرسالة سماوية؟

فنرد عليه ببساطةٍ يفهمها الصغير قبل الكبير، بأنك لو اختبرت آلاف البشر بعدد الأديان التي تعلمها في مسألة، وجعلت ذلك اختباراً وامتحاناً لهم فمن منهم ينجح؟

والإجابة أنَّه من يعطي الجواب الصحيح فهو الناجح، وكذلك نقيسُ التعداد على الدين فمن امتثل للصواب والغاية فهو الناجح، فاختبار الدين عندنا كمسلمين إنَّ الإجابة أعطيت مسبقاً بالبلاغ والدعوة والرسل للمنهج، والنجاح هو بالامتثال، وهذا

جمال في العطاء والرحمة بتسهيل الاختبار وإلغاء الصعوبة في البحث لمن أراد الحق.

ونعود لسؤالنا لمن أراد الحق، فأيُّ هذه الأديان هو الصحيح؟ والذي يحقق للبشرية ما تصبو إليه من سعادة وعلو، ويحقق للنفس مرادها في الاستقرار إلى جانب فطرتها، ومنظماً لها حركة حياتها، وسمو روحها إلى علوية إيمانية منضبطةٍ متزنةٍ في كل حال، وتتمة السؤال آنفاً ما هي تلك الضوابط لاختيار الدين؟

إنَّ الكثير يعي أنَّ كل من يرتبط بدين يعتقد أنَّه على صواب وعلى الجادة، ولكن هل التمسك بالشكلية التبعية أو التوارث في الإتباع عمن سبق هو دليل الصواب على الأصل المتَّبَع؟ والصحيح أنَّ هذا ليس ضابطاً يؤخذ به على العموم بل هو تابع للضبط الأول وليس أولياً في القياس والأخذ، والكل يعي أيضاً أنَّ الحق واحد ولا يتعدد خاصة في أمر الدين فالاشتراك في الربوبية محالٌ أن يكون وهذا لا شك فيه على اختلاف الأديان فلا منافس يستطيع أن يقول أنَّ لي شراكةٌ في هذا الأمر، فانقطاع المسألة بذلك معروفٌ لكل عاقل وسبحانه إذ يقول: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: 61].

فلذلك وَحدانية الخالق توجب قطعاً وحدانية الدين والأصل الصادر عنه، ولا بد إذاً مع السؤال الحق أن تكون الإجابة واحدة وليست مبهمة أو متفرعة وأن لا تحمل أكثر من وجهة للقبول، وعلى هذا التعداد على ظهر البسيطة فلا دين بحق إلّا دينٌ واحد ويجب ان يكون غير قابل للمشاركة أو التداخل مع غيره، فمتلازمات الحق للدين لا بد أن يكون فيه صالحاً ومصلحاً، وثابتاً في أصوله وذو مرونةٍ ضمن ثوابته بتوافق لا يحيد بالأصل عن حاله، ويتسم بالشمولية التي تستوعب المكلف في أمرهِ كله، مع مراعاته لتلك الفروقات بين الجميع ويضبطها ضمن توجيهات وأحكام وهذه قمة التوافق والمرونة النابعة عن امتلاء الأصل وكفاية المنهج، وأيضاً وجب أن يكون ديناً يغطي حركة الحياة والآخرة، وموجهاً حياً للعبادة والامتثال، وأن يكون عالمياً في طرحه

غير مقتصر على فئة دون الأُخرى، وان يكون محفوظاً غيرَ قابلٍ للتعديل أو التحريف، ومصلحاً لكل زمان ومكان لما تميز بكماله وسعة تعاليمه، وكل هذا وخيرٌ غيره لا يكون إلّا عن مصدر إلهي وما كان غير ذلك فالأصل أن يُسقط قبل النظر فيه...

ولنبدأ في بيان بعض الضوابط والمقاييس المثالية التي تصلح لاعتماد القبول، وتصلح لتمحيص واختيار الموافق لهذه الأديان للمطلوب والاعتقاد، وهذه الضوابط هي اختمار العقل السليم المنصف، والفطرة السوية، والأفضلية المثالية، والخيرية العامة والخاصة، والوضوح في الإيجاد، وكمال البيان، وحسن التوجيه فيما يُأخَذ، وطبعاً فهذه الضوابط هي من باب البيان وإقامة الحُجَّة العقلية والشرعية على الجميع، لكننا كأهل الإِسلام والمتبعين لدينه فنحن نعلم أمرَنا وصحة ديننا، لكننا هنا لنوضح ذلك التطابق والتكامل والذي لا يوجد إلّا فيما بينَ أيدينا من جوهر ديننا وأمر ربنا، وإنَّ تلك الضوابط فهي لكل من مَلَكَ عقلاً راشداً وقلباً نقياً فسيرى أنها تتوافق مع كل وجهٍ مثالي وجانب خيري وطرح عملي ومؤديةً للغاية الحقيقة، وإن العدل أنَّه من كان جاهلاً فتأتى له الاطلاع على هذه الضوابط منا أو من غيرنا وعرف الدين الحق فقد بانت عليه الحُجَّة وكمُلَتْ البينة فلا عذر حينها لمعاندٍ أو معارض، فانكشاف غمام الجهل ذهاب للعذر، وكلٌ على درجة جهله يعلم منها أمره و يقيس عليها صحة ما يعتقد، فعليه أن يضع الإنصاف ميزانا في معرفة حاله وعلى أي أرض يقف وما عليه أن يتبع، فإن أَبى فذلك دليلنا على أنَّه قائم على الاختيار وليس من باب الإجبار، وأنَّه واقع يدل على أنَّه عَلِمَ فأنكر ورأى فتكبر، ونحن كمسلمين نؤمن أنَّه سيدرك يوماً ما كان عليه من خطأ جراءَ عناده ورفضه، وأنَّه سيحاسب عليه...

وسنذكر الضوابط كما قلنا مع إضافة شرح لها ليتضح بها المقال وسنذكر معها دليلنا من دين الإِسلام ليتضح ذلك التوافق الكامل مع الضابط، بل للتيقن أصلاً أنَّه هو الموجِد للضابط أو المُوجِّهُ والمنظم له في قالب الحق والإِتباع، واستواء الصراط.

وليعلم القارئ أن توافق أي دين مع ضابط ليس معناه صلاحه، بل هذا توافقٌ مع

جزءٍ من كلية الاعتماد وليسِ تذكرة النجاح والاعتماد، فالذي سوف يُعتمد وهو الصواب المطلق الذي لا يحتمل الشك وَجَبَ أن تجتمع فيه كل المطلوبات كاملة بالنسبة للضوابط، وهذا لا يكون إلا مع جهة واحدة ومع اختيار واحد، لأنَّه كما قلنا آنفاً أن الحق واحد ولا يقبل التعدد وسنجد توضيحاً أوفى لذلك في بعض شروح الضوابط إن شاء الله تعالى ...

الضابط الأول:

أن يكونَ موحى به من عندِ الله الخالق سبحانه.

لأنَّ المخلوق لا يستطيع أن يضع لنفسه ديناً يُسَيِّر به حركة حياته وينظم له أمره ويكفيه مؤونة الدنيا والآخرة، وإن وضع المخلوق باعتقاده ديناً من نفسه، فليس هذا الارتباط والتعلق بما وضعه يعتبر كدينٍ حق، لأنه سَلَّم نفسه إلى شيءٍ ضعيفٍ مثله أو حتى إلى لا شيء، فما وَضَعَهُ لا ينفعه ولا يضره، ولا يقيم له أَمره، فإنَّ كون المصدر للدين هو المخلوق فحينئذٍ نرى لكل مخلوقٍ ديناً وإلهاً خاصاً به، وبحسب قدرته المؤقتة يفرضهُ على الآخرين الذين بدورهم يفعلون مثله، فأي تخبطٍ هذا وأي هوى وابتعادٍ عن الجادة إن اقترن الدين بالمخلوق إيجاداً، فالمخلوق غير قادر على أن يأتي بالكمال في جزء من أمره، فكيف يحيط في كل أمره ناهيك عن أمر غيره، فالحق ولا شيء غيره أنَّ الدين الحق وجبَ أن يكون موحى به من الخالق سبحانه الذي أوجد الخلق وهو العليم بهم المحيط بأمرهم وأمر كل شيء، والعالِم بما فيه نَفعُهُم الغير مُحتاج لهم، بل هم بحاجته وفقراء إِليه، وكون الدين من الخالق سبحانه فلا بد قطعاً أن تكون عنده القدرة المطلقة والعلم الكامل والحكمة البالغة، وهذا لا يتأتى لمخلوق، بل هو لله الواحد الأحد عالم الغيب والشهادة ويلازمُ ذلك الوحدانية والانفراد منه سبحانه بالإيجاد، فلا يصح أن يكون هناك اشتراك في الأمر فوحدانية الخلق هي وحدانية التحكم والقدرة وبالتالي وحدانية الدين الحق، وإنَّ الَّذي يملك القدرة المطلقة وكمال الأمر علماً أَزلياً وإحاطةً وحكمةً لا يحتاج فيها لغيره أيَّما كان مخلوقاً أو إلهاً مزعوماً عند من جعل تعداداً للآلهة،

فسبحان الله الواحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد وليس له كفواً أحد... ونحن كأهل الإِسلام وأَتباع دينه يقيناً علينا ووجوباً للدخول في دين الإِسلام الاعتقاد الصحيح والقول الصريح بأنَّه لا إله إلا الله محمداً رسول الله، ونحن نؤمن ونعتقد اعتقاداً جازماً لا شك فيه ولا ريب أنَّ الله سبحانه هو الخالق وهو من رضي لنا الإِسلام دينا، وإنَّ مصادرنا من القرآن الكريم والشرع الكريم وما صح عن النبي الكريم موحاةٌ من عنده سبحانه تعالى ذكره وتقدست أسماءه.

ونضيف أمراً وسؤالاً عقلياً للمخالف، فإنَّكَ زَعَمت أنك أوجدت ما لديك لنفع نفسك فمن نفعَ من كان قبلك؟

أليسَ هذا ضمورا وعجزا في فعلك! ثمَ أَلم تنظر أنَّ الدين الحق نزل مع نزول البشر وإيجادهم على الأرض فهلا حَكَّمت ما بقي من صفاء نفسك وعقلك الذي ترجع إليه ظلماً في امرك.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة: 21].

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [طه:8].

قال تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ [طه:14].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَسِعَ كُلَّ شَىۡءٍ عِلۡمَا ﴿٩٨﴾ ﴾ [طه:98].

قال تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبۡحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء:22].

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِى ٱلۡأَخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: 85].

وبناءً على الضابط الأول فيسقط كُلَّ من زعم أنَّ له ديناً غير موحى به من الله إيجاداً

ومصدراً لتشريعاته وأحكامه، ويسقط معه كلُّ من أشرك مع الوحي شيئا...

الضابط الثاني:

ارتباطاً مع الضابط مع الأول في كون الدين موحى به من الله إيجاداً وإقراراً فوجب في الدين أن يكون في أصوله وتعاليمه وكلُّ ما فيه من عبادات أن يدعو إلى التوحيد والتوجه الخالص إلى الموجد سبحانه عبادةً وتسليماً، فالمعيار الصائب في الدين أن يكون القلب إيماناً والجوارح عملياً واللسان قولياً كلها تتجه معتقدةً ومخلصةً إلى الله سبحانه ولا تُشرك معه شيئاً في تشريعاته أو تعاليمه أو ما أمر به من عبادات...

إن التوحيد عندنا أهل الإسلام أساس الأمر وعماد الدين ومفهوم الغاية، ولا نتوجه في أمرنا إلّا إلى رب العالمين، ونعتقد مؤمنين وعاملين بتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات...

قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: 108].

قال تعالى: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: 79].

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: 88].

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام 153].

لذلك إتماماً للضابط الأول وبإشراك الضابط الثاني يسقط أَيُّ دين أو مُعتَقَد أَدخل الشرك في العبودية وجعل التعدد في الدين بدلاً من التفرد...

وبسريان تيار العقل فيما سبق نرى بعين الإدراك أنَّ ما كان ديناً فدرجة علوه تفرض عليه قبولاً وإيجاداً كحالِ الأصل بتفرده وكمال الإرسال، فلا يصح أن يكون هناك تعدد مسببٌ للاضطراب في المصدرية أو في التوجه فهذا تشارك لا يصح، فالشمس في

إضاءتها للأرض ينتظم بانتظامها وفرديتها الليل والنهار والمواسم والفصول فلو كانت عدة شموس في ذات الوقت فكيف يصبح هناك الانتظام بعد ذلك. وإننا لنستشهد بالعقل أحيانا لهؤلاء الذين يعتمدون عليه فنحاجِجُهم به...

الضابط الثالث:

أن يكون الدين شاملاً لجميع مناحي الحياة.

وإنَّ الاتصاف بالشمولية هنا ليس معناه احتكاراً قسرياً كالذي يحدث بين المخلوق والمخلوق؛ بل هو الاستيعاب الأكمل والأتم في توجيه كل شيء ضمن الأصول والمنهج القائم عليه، فالشمولية هنا القدرة على الإحاطة بما يوجِد التوازن والتوافق على كل وجه...

إنَّ الدين الحق من كمال عدل الضبط فيه أن يكون مستوفياً أمره في ذاته ولا يحتاج إلى غيره إكمالاً لأمره في ذات الأصول والمنهج الذي يدعو إليه، وفي نفس الوقت أن يكون شاملاً في طرحه، بمعنى أن يكون منهجاً كاملاً لحلقة الحياة بكافة أبعادها بالنمو الذي يحقق لأتباعه المراد في تنظيم حركة حياتهم وجميع شؤونهم ويراعي في ذات الوقت تعاملهم مع غيرهم، وهذه الخاصية عند توافرها في الدين فهي في أصلها تمايزٌ مطلق عن غيره ولا يتأتى مثل ذلك إلّا بتوجيهٍ يفوق قدرة البشر على الإتيان بمثله، وإنَّ من يعقل فإنَّه لا بد أن يعي تعداداً في الأديان لا يملك اكتفاءً في ذاته فيما يدعو إليه، وقصور واضح في نفسه وتمكينها، فكيف يتميز مثل هذا العاجز ديناً وهو غير صالح لنفسه، وكيف يَصْلُحُ أن يُصلِحَ غيره من أتباعه ومن تعلق به، وحتى فيمن كان من تلك الهيئة من الأديان العاجزة فإنَّه يُرى فيها ارتباطاً بانتشار ونشاطاً فقط في مكان أو لعارض أو وقت معين، فكيف لراشدٍ بلغ الرُشد في الإدراك أن يَرضى أن يتبعَ ديناً موسمياً خاملاً ينشط لفترةٍ أو لحدثٍ أو أمر وبقية أمره في سبات....

ولننظر لديننا وهو الإِسلام وكيف راعى شأن المكلف في كل حياته ونَظَّم له أمره على اتساق بديع كامل في كل زمن حياته من قبل ولادته وحتى بعد مماته، فأوجد

التوازن المنتَظَم والمنظِّم للإنسان في كل معاملة ولكل حال ضمن أُسس ومعايير وتعليمات تجعله في رعايةٍ وإحاطة ليس لها نظير في غيرها، وكل هذا رحمة من الله العزيز القدير وتكرمة منه سبحانه للإنسان لتُعينه على تحقيق الغاية من الإيجاد وفي نفس الوقت لتوجد له السعادة في حياته بتلك الدائرة الكاملة من الإحاطة من التوجيه والقواعد التي يبني عليها كل بناءٍ في حياته وعلاقاته سواءً كانت تعبدية أم دنيوية...

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89].

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

إذاً وبناءً على هذا الضابط يسقط كلُّ من لا يصلح لتأدية دور الدين في الحياة على اتساع حركتها وتَعداد مطالبها...

الضابط الرابع:

عالمية الرسالة.

إنَّ من ضوابط الكمال في أي أمر هو عالميته بما يُقدِّم ولمن يُقدَّم، وهذا مما يُمَيَز به من وسع الجميع على اختلافهم وعلى مدى زمانهم عمن كان مقتصراً على فئة معينة لفترة مؤقتة، فالعالمية هي علوٌ بالتقديم قائمةٌ على علو الأصل وكفاءته ودلالةٌ على الكمال في الأصل وصلاحيته، وعلى عموم الخيرية في المُراد للجميع، وإنَّ عالمية الدين هي استيعاب شامل بالرحمة وبالرسالة لكل من وقع عليه التكليف، فعالمية الدين كشمس ساطعة أشرقت على كل مبصر لتنير له طريق الحق وتدله على منهج الحق، وإنَّ دعوتها وأمرها بعالميتها أكبر من أن يغلق البعض بصيرته عناداً ليمنع نفسه من الإبصار والإيمان، وإنَّ نورها ليشعر به كل إنسان على ما كانت لغته أو لونه أو حاله، وهذا بحق لا تجده ولا تراه إلّا في دين الإسلام، فشمس الإسلام مشرقة على الجميع وعلى العالم، ولا تغيب فإشراقها دائم، وبكونها آخر الرسالات فرحمة من الله سبحانه جعلها

للعالمين فأيُّ جمال هذا وأي رحمة تلك التي شملت كل إنسان ووضعته تحت مظلة توحيدٍ واحدة ومنهجٍ واحد، وحين الانضمام إليه ينضم إلى إخوانه ليصبح معهم في أسره عالميةٍ واحده، وهمٍّ واحد ويسيرون على طريق حق واحد.

فالإسلام بعالميته دين أتى ليوحد الجميع ويوصلهم إلى الخير جميعاً وهو كفيٌّ لذلك والأحق بذلك...

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107].

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ: 28].

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦﴾ [الفرقان:56].

قال ﷺ: «كانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ كَافَّةً»

صحيح البخاري.

ولذلك يفهم من هذا الضابط أنَّ الدين الذي اشتمل على شرطٍ للدخول فيه وأوجده المخلوق كنسبٍ أو طائفة أو مكان فلا يصح اعتماده لأنه ناقصٌ في كمال العطاء للخيرية وحاصر لتعداد من يقدِّم لهم، مع بطلانه أصلاً لما سبق من ضوابط.

ومن كان سابقاً قبل الإسلام وكان رسالةً سماوية فكان حينها مقبولاً بأمر الموجِد، إلّا أنَّ العالميةَ أتت لتلغي ما كان سابقاً ومحصوراً بفئة معينة بأمر المشرّعِ نفسه سبحانه، فهنا من باب أولى لمن كان سابقاً على رسالةٍ سماوية أن يتبع أمر الموجد بانتهاج الإسلام وإتِّباعه لأنَّ المصدَر لكل الرسالات السماوية واحد...

الضابط الخامس:

أن تكون عنده الصورة كاملة للدنيا والآخرة.

إنَّ مما يميز الدين الحق عن غيره ما يكون فيه من جمعٍ بين بيان حال الدنيا وأمر الآخرة، أمّا الدنيا وهي ساحة الحياة المادية للإنسان وما تعلق بها من وجود وسلوك ومعاملات فهي حاضر أمره في حياته، ويتناول فيها شأنه مع نفسه وغيره، وعلاقته مع

ربه، وهي تعتبر عند أهلِ الإيمان وصحيح الاعتقاد دار التكليف. وأما الآخرة فهي تلك المرحلة من طريق الإنسان أو المكلف بعد انتهاء الشطر الأول من وجوده وذلك بعد مفارقته إياها، وان كمال الصورة في الدين لتستبين في ذلك؛ فهي تعطي المكلف كامل الصورة عن وجوده وسبب ذلك الوجود وعما يحدث له بعد ذلك، وهي صورة ضرورية لاكتمال واختمار بيان حقيقة الوجود والغاية منه بادراكٍ عاقل جامع بين فهم مغزى الحاضر والمستقبل واتزاناً في فهم معادلة الثواب والعقاب، والتكليف بعد الاستخلاف، فوجود تلك الكفاية الوافية في إيصال الإنسان إلى فهم نفسه وما وراء ذلك هو استقرار لذاته ومحرك ذاتي للسير على الصراط المبتغى تأديته والسير عليه لحصول المأمول فيما بين يديه وما بعد فراقه فانكشاف العلة هي جلاء للفهم والبصيرة لفهم الغاية المثلى وغاية الغايات.

ولننظر هنا لجماليات الإسلام فيما وضَّحَ أمر الإنسان وجوداً وشرح غاية وكمال التفعيل لذلك؛ بأن جعل تلك النفس الحائرة تقف على أرض صلبة فتعرف وتدرك ما لها وما عليها، وكيف ولماذا هي البداية وما هي النهاية فاستحضر الإنسان بذلك الطرح الفائق كمالاً أمرهُ كله واستيقن جمال دوره وروائع ما يتحصل عليه من ذلك الامتثال بالعمل المؤدي للسعادة في ذات تأديته المقترنة بالدين وفيما يتحصل عليه بعد ذلك في الآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: 64].

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: 97].

قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: 77].

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:56].

قال تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأَخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران: 148].

ولننظر هنا بعين العقل، فهل يصح إتباعَ دين لم يحسن شرح نفسه وقوام أمره لتُسلَم له النفوس وإيمان القلوب لتصبح عاجزةً معه في فهم حقيقة الوجود والمآلات، فالقلب والعقل والروح أدركت نفسها وأطوارها وما هي عليه في ظل الإسلام فقط وهذا هو الحق فقط لمن ملك فهماً وأراد عدلاً...

الضابط السادس:

أن يكون متوازناً وموازناً لأمر الروح والجسد.

إنَّ كيان الإنسان قائم على روح وجسد، وان احتياجات الجسد المادية والمعنوية أمر معلوم للجميع وهي متكررة في الطلب طالما هناك نَفَسٌ يجري، وهو مما لازم خلق الإنسان مع أصل بناءه وجِبلته. وكذلك الروح فهي علوية لها متطلبات إيمانية وميول راقية، وإنَّ الدين الحق وَجَبَ أن يوجد ذلك التوازن بين الحاجة الترابية للإنسان وبين احتياجاته الروحية، ومن كان قاصراً من الأديان على جانب المادة وألغى جانب الروح فهذا ليس بدين بل هو نظام مادي نفعي شهواني لا يلبث أن ينتهي بانتهاء الجسد وهو في ذاته بهذا الشكل اهتمامٌ بالدونية دونما تعلق بالعلوية، فيصبح التابع له عبارة عن جزء من دائرة الاحتياجات والشهوات والمنافع بلا ارتباط عالي بالروحانيات بصورة لا تدل على الرقي والارتقاء بل على الهبوط في سلم المخلوقات، وأما ما كان من الأديان قاصراً على الروحانيات دون اعتبار للجسد واحتياجاته الطبيعية في نفسه وفي علاقاته مع غيره فهذه أيضاً مشكلة تدل على القصور، فالرهبانية غير محمودة فهي تكليف ذاتي ليس له أصل شرعي وإن كان أريد بها خيراً فمن يقدر على أن يؤديها على كمالها ويُتِمَّها على قدرها وإن وجد القليل منهم فهل هنا ينحصر الأمر عليهم فقط كأتباع، وهل من ألغى الجسد وارتفع بالروح يصمد بدون احتياجه لغيره؟ وهل تلك الحاجات الملتهبة في

نفسه تطفئها تلك الروحانية وتشبعها، وهل يصلح المجتمع بذلك؟

فلذلك فكلا الأمرين ميل عن الصواب وإضعافٌ لتأدية المقصود...

ولننظر في دين الإسلام حيث نرى الحسن والتمام، فذلك التوازن الرائق الذي يعطي كل ذي حق حقه للجسد والروح ويجعلهما وحدةً واحدة متزنة يؤدي كل طرف دوره غير مهملٍ للآخر بل مستمِداً منه حسن الأداء للعمل وعلو أمره، فالإسلام لا يريد رهبانية تلغي الاحتياجات الفطرية المزروعة مع بذرة الإيجاد له، بل يريد إيماناً عالياً وتسخير تلك الروحانيات لربط الجسد بجوارحه مع العلوية في الامتثال والسلوك والشعور الإيماني، والإسلام لا يريد أيضاً أن ينزل الإنسان أو المكلف عن مرتبة التكريم التي أعطيت له وشَرُفَ بها فيلحق بالماديات والرغبات دوناً عن الإيمانيات فيصبح حالَهُ كمن لا تكليف عليه... فالقالب الأمثل لذلك هو ذلك الجسد السائر على هدي التعاليم والشريعة ويملك معها روحاً متألقة بالإيمان من كمال الالتزام وهذا هو مطلب الإسلام...

قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: 77].

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك: 15].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ [يونس: 7].

لذلك فيسقط مع ما سقط مما سبق الخيارات والمعتقدات التي تعتبر أيَّ مادةٍ ديناً دوناً عن الروح أو أخفت الإنسان واعتبرت الروح، ونرى مثل ذلك فيمن عبد عضواً أو شهوةً أو فيمن حبس نفسه في تأمل وعزلةٍ سلبية وألغى معها جوارحه بلا حق...

الضابط السابع:

أن يخلو من التناقض أو الاضطراب وأن يكون محفوظاً.

إنَّ من كمالاتِ أيِّ منهج ألّا يكون فيما أقيمت عليه أصوله اضطراب أو تناقض وأن يبقى على أصله الذي أُنشأ عليه، ومن باب أولى أن يكون الدين كذلك فهو الأمر كله وهو عماد البشرية وطريق الوصول وشِرعةُ الخالق ومنهج المكلف، فلا بد لزوماً أن يخلو الدين الحق من أي اضطراب بين جنبيه فيما يدعو إليه، وأن يكون الكمال في كل زاوية من زواياه، وأن لا يعتريه النقص فيما يُحتاج إليه، وألّا يحتاج لتعديل فيما قد يطرأ عليه، فالأصول والقواعد له ثابتة والكمالات كافية والتناغم بديع موصل للغاية وواضح ميسر للتطبيق، وان يحيط ذلك كله سور عالٍ فلا يُتَعَدى أو يُتَسوَّرُ عليه، وأين تلك الشروط وذلك الكمال إلّا في دين الإسلام ومنهجه الكريم فدخولك فيه أو حتى نظرك إليه بقلب سليم لترى فيه ومنه ذلك الجمال وعلو الكمال، فائتلاف الأحكام واتساع المعاني وثبات المباني والأصول وتأييد بعضه بعضاً ليس له نظير، وكيف لا وهو دين الله للعالمين، وآخر الرسالات ومتعهدٌ بحفظه من رب البريات، فهو دين يعلو ولا يُعلى عليه، ويؤخذ منه ولا يؤخذ عليه، فلا ترى فيه نقص ولا يحتاج لتعديل، فهو صالحٌ مصلحٌ لكل زمان ومكان، كامل متكامل لا خلل فيه وإن قيل غير ذلك فالقائل هو المخلول إمّا لعارض أصاب عقله أو لسواد ملئ قلبه، فالإسلام دينٌ كماله من كمال موجده وهذا عندنا يكفينا كمسلمين وإن شوهد من البعض تقصيراً ونُسِبْ فهذا ينسب لهم وليس من أصل الدين....

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر :9].

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء:82].

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:3].

قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة:75].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آل عمران:71].

إذاً فلا يعتبر أيَّ دين حق إذا كانت تجري عليه أقلام التحريف أو التعديل وهذا مما حصل لمن سبقنا من الرسالات السابقة بعد زمنٍ على نزولها، فالآن وقد أتت آخر الرسالات وتعهد الموجد سبحانه بحفظها وأنزلها للعالمين ولم يتعهد بحفظ من كان، فالأصل والصواب أن يُلتزم بالإِسلام فهو الكامل الذي لم يطرأ عليه شيءٌ ولن يطرأ عليه...

الضابط الثامن:

أن يوجِد السعادة لكل من اتبَّعه ولامس أمره.

إنَّ مقدار الخيرية التي تنتج عن أيِّ منهج دلالةٌ على قوامته وصلاحيته وإنَّ ازدياد تلك الخيرية المتحصلة هي ازدياد في الكفاءة والصلاح لذلك المنهج وبما أنَّ الدين الحق هو منهجٌ وحركة الحياة للمكلف فلا بد لزاماً أن يكون مُفعِّلاً موجداً للخيرية في أعلى قدرها ومسبباً موجداً للسعادة لكل متبعٍ له، فالإتباع وهو التسليم للمشرع يضع المكلف على طريق الامتثال الأنفع له في دائرة حياته ويترتب على ذلك الامتثال المثالية في التحصيل والعلو في السلوك، وكل ذلك مع اقترانه بعلو الخيرية يصاحبه ويؤدي ولا بد لسعادة ملازمة لكل امتثال، ومع اكتمال حلقة الامتثال بالتطبيق والميل للتوجيه العلوي فتصبح الدائرة الحياتية للمتبع وما يحيطه على شكل دائرة سعادة وتوفيق، فالسعادة رديف المثالية ومصاحبةٌ لها ولهذا فكل دين حق وجب أن يوصل صاحبه إلى السعادة الحقيقية وهي السعادة الدائمة في دنياه وآخرته، فمقاصد الدين الحق هي لإصلاح المكلف ورسم الطريق له للوصول إلى الغاية والمراد بالارتباط مع خالقه كما أمر وبما أنَّ الخالق سبحانه هو الذي خلق المكلَّف وشَرَّع الدين فقطعاً هو أعلم بما فيه

الخير والسعادة للمكلف أثناء تأدية ما كلف به، وإنَّنا لنرى في حال الأديان وتعددها أنَّ منها ما قد يصيب جانباً من السعادة لأفراده ولكن هل هذه السعادة هي الحقيقة والمطلوب؟ أم هي صورة وهمية ما تلبث أن تغيب؟

ولننظر إلى الإسلام دين السعادة والخيرية، فما أحد ارتبط به حقاً إلّا غمرته السعادة أبداً، وإن حصل له ما يحصل لكل إنسان في تيار حياته وقد يكدر عليه فذلك مُشتَرَك للجميع يصيبهم ولا يخلو منه أحد ولكنَّ صورة الإسلام وتصوره المحمود أعطى على الصبر عليه أجراً وسعادة يستشعرها المؤمن في قلبه بحسن اتكاله وصبره ويجازى عليها حسناً في آخرته وعند لقاء ربه، فكل جانب مما يصيب المسلم محمود عاقبته ما دام المسلم مراعياً لدينه ومتماشياً مع حسن توجيهه...

قال تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: 1-2].

قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩٧﴾ [النحل: 97].

قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝١٢٤﴾ [طه: 124].

قال ﷺ: «عجبًا لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمرَه كلَّه خيرٌ إنْ أصابَتْه سرَّاءُ شكَر وإنْ أصابَتْه ضرَّاءُ صبَر وكان خيرًا له وليس ذلك لأحدٍ إلَّا للمؤمنِ» رواه مسلم.

إذاً فالحق والسعادة متلازمان، لذلك فيسقُطُ كل معتقَد أو ما قد يسمونه ديناً من عَجز عن إيجاد السعادة الحقيقية لأفراده في دينهم ودنياهم وحين يلقون محاسبهم تبارك في عليائه.

الضابط التاسع:

إنَّ من ضوابط الدين الحق أن يسمو بالمكلف وتابعيه إلى أعلى درجات القيِّم وأنفعها لنفسه ولغيره، وأن يُنَظِّم لهم سلوكهم من أخلاق ومعاملات في أرقى صورة وأعلى معيار، فالمثالية في التحصيل متلازمة مع الحق في الاختيار، فجمال الدين في تشريعاته

وكمالها لا يرضى إلّا بأكمل ما في الشيء، فلذلك فالدين الحق لا يدعو إلّا لكل برٍ وفضيلة وخلق حسنٍ منضبط بشرائع علوية وأن يكون ذا رفعةٍ في التناول وعلو وجمال في التداول، وكما أنَّ الدين هو الحق فيلازمه أن يكون المطلوب في مراد أتباعه هو الحق في كل جانب، وأن يؤخذ المقياس الأوفى على الإيمان، والمستحسن حين الطلب على الاعتدال، وأن يكون أساسه على العدل، وان تكون الرحمة مرافقة لكل أمر، فما كان ديناً حقاً وجب أن يكون فيه كل حميد ويدعو إلى كل محمود، وفي ذات الوقت مِن طَلَبِ العلا في كل أمر بما يستطيع المكلف على قدر وِسْعِه فيُشترط مع الطلب منع إتيان ما قد يترتب عليه ضرر بأي شكل كان في النفوس أو بما ترتبط معها تعاملاً أو تبادلاً، فإن منع السوء والحد منه وتقييده هو في ذاته أيضاً استجلاب لجانبٍ من الخير وعموم المنفعة، فالدين الحق هو مفتاح لكل خير مغلاقٌ لكل شر وهذا هو المراد من مقاصد الدين بالرحمة والخيرية للمكلف من رب العالمين...

وهنا نقف على بديع أمر الإسلام فنرى ما تعجز العقول على وصفه لحسن جماله ولبديع كماله فتلك الشريعة الغراء جمعت الحسن في كل شيء ودعت إليه وأرادت البر والصدق والنقاء في أي شيء وحثت عليه، وإنَّ فيها من الحكمة والتشريعات والأنظمة والتعليمات ورقي السلوكيات ما انعدمَ نظيره في معتقدات أهل الأرض. فأيُّ جمال يعلوه جمال لا تجده إلّا في الإسلام وإنَّ هذا لحق ولا يصدر مثله إلّا من الحق سبحانه وإن جهل أكثر الناس...

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسراء: 9].

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم:4].

قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [العصر: 1-3].

قال ﷺ: «إنَّ أَحبكم إِلي وأقربكم مني في الآخرة أحاسنكم أخلاقا» ابن حيان.

قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم وفي رواية صالح الأخلاق» الألباني.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء: 58].

فلذلك فكل من دعا إلى انفلاتٍ أو عقم سلوكي أو تعدي بلا حق على ذات النفس أو الغير، أو رضي بأراذل الأمور، أو حتى من لم يملك القاعدة الأخلاقية والقيَميَّة المثلى فلا يعتد به في النظر قبلَ أن لا يُعتَد به كدين...

الضوابط العاشرة:

ارتأينا أن نجعل الضابط العاشر مجموعة من الضوابط وذلك إتماماً لما قد سلف من الضوابط وما فيها من كفايةٍ لتحديد ما هو الدين الحق، ومع ذلك فهذا الضابط جامع لدقيق المعايير مع أصل الجهد الأول للبحث عن الأحق في الاختيار للدين الحق.

فنبدأ ونقول فإن من الضوابط المثلى للاحتكام والقبول أن يكون الدين متوافقاً مع الفطرة بشرط ان تكون على نقاءها الأول وفي حالتها السوية فمتطلبات الفطرة ونزوعها يميل إلى الارتباط بخالقها ميلاً مُوحداً تعبدياً ونقاءً سلوكياً تطلبياً...

ومن الضوابط أيضاً توافق ما حقَّ من الدين مع العقل السليم، والسليم هنا هو ذلك العقل الواعي الخالي من القيود والذي يملك بصيرةً في الإدراك ووضوحاً في الرؤية وتفكراً تدبرياً باحثاً عن الكمال، فالعقل في استبصاره للأمور والأحداث يدرك أنَّه لا بد من قَيِّم على الأمور وموجد لها ومُنشأ، وإن هذا البديع في الاتزان والسعة في الإيجاد لا بد له من قدرة تفوق قدرة المخلوق على تعدادها دوناً عن الإلمام بأمرها فيكون هنا العقل نوراً يدل صاحبه إلى الخالق وباباً لإدراك الحقائق...

ومن الضوابط أيضاً في الدين الحق أن يعود النفع على المُكلَف، فالدين في ذاته ليس استثماراً يرجى العائد له لذاته، فهو تشريف وتكليف علوي ملك القوامة والكمال فلا

يتأتى من كثرة الأتباع زيادة على صحته أو علو في مكانته فالنفعية في الدين الحق تعود على المكلف توجيهاً وتنظيماً لحركة حياته ودليلٌ له لمعرفةٍ ربه وعبادته....

ومنها أيضاً الثبات والتمكين فلا يُعدم وجوده وأن تكاتفت عليه قوى الدنيا فقوته مدلولٌ لحفظه وعلى عِظَمِ وقُدرةِ موجده فلا يختفي قسراً أو يُغير جمعاً....

ومنها أنَّه يحمي المكلف وضروريات حياته، فتنظيمه الرائق يتناول كل دقائق الأمور ومستجدات الأحداث.. ومنها أنَّ كل وجه في الخير والخيرية يدل عليه....

ومن الضوابط أيضاً في الدين الحق أن يكون له رسول يُبلِّغه للناس فيعلموا منه أمر دينهم ويكون أسوة وقدوة عملية لهم في دينهم وصلاحهم...

ومن الضوابط أيضاً احتواءه على ما تُفهم به الأحداث على مدارها وسعتها، وأن يندرج في أحكامه وتشريعاته مبدأ الحساب المرتبط بالنهاية والمجازاة عن كل عمل...

إذاً وبعد استعراضنا لهذا العدد من الضوابط وإسقاطها على كل دين قد يتم استحضاره مع الإنصاف في القول بوجود غيرها من المعايير والضوابط والتي كلها تجتمع مع ما ذكرنا في الإنصاف والعدل المتفق عليه من العقلاء ومن بقى على النقاء لمعرفة الدين الحق، فالجواب الأوحد فيما يُعتمد كدين حق ويؤخذ به هو دين الإسلام، فغيره إمّا تالفٌ في أصله ضعيف في طرحه، أو هو شهوة عابرة استحكمت صاحبها فأوَّلها ديناً (وهذا من الجهل المركب)، أو ما كان تسلسلاً في إتباع من سبق في الخرافات والشركيات وتَعدُّد المعتقدات (وهذا من الانقياد الأعمى)، أو ما كان تجارةً مصلحيه تُقيِّد الآخرين فتستنزف مدخراتهم، أو ما كان رسالةً سماوية كانت حقاً في زمانها لفئةٍ معينة لكنها بتعرضها للتحريف والامتهان وتغيير الأصول والتعدي بإلغاء التوحيد تَمَ نسخها من موجِدها وأُمرَ بإتِّباع آخر الرسالات الذي لم ولن يُمس كما حدث لسابقه وتُعُهِّدَ بحفظه مع كونه أيضاً عالمياً لكل وقت ومكان.

ولذلك فهنا يقف القلب المنصف والعقل الواعي والروح النقية عن البحث لأنَّ المُبتغى صواباً وحقاً من الأديان موجودٌ وحاضر ويحمل كل الصفات الملائمة

والكمالات المهيأة للبشرية لأداء حركة حياتها في توازن واعتدال ملائم لكل جانب وأي أمر ومراعياً للإدراك الوجودي وللإيمان الغيبي، وموجداً تلك العلاقة الصحيحة اعتقاداً والقويمة سلوكاً بين العبد وربه، وهذا الحق هو الإسلام، نعم هو الإسلام ولا شيءٌ غيره، وقد رضيه الله سبحانه للعالمين ومن اِتَّبعه كان من المسلمين وقد رضي الله عنهم بما رضوا أمره وكانوا مؤمنين وأنا على ذلك من الشاهدين وللإسلام لمن التابعين...

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: 85].

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: 62].

قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: 83] .

* وبعد أن قطعنا شوطاً في ماهية الضوابط التي تدلك على الدين الحق وازداد تألقاً لنا كمسلمين وبياناً لغيرنا ممن أراد الحق وبحث عنه بأنَّهُ الإسلام وأنَّ غيره لا يصح أو يصلح كدين، فلا بد لنا هنا كأتباعٍ للدين ومن باب الدعوة أن نبيِّن ما هو الإسلام وإلى ما يدعو إليه، وأن نغوصَ في بحر تلك الجَمالات التي لا تكاد تحصى من جميل الإسلام في ذاته ولغيره والتي هي رديف للضوابط وزيادة في تمكين القناعة بأنَّه الحق وأن نذكر تلك الصورة العملية التي نعيشها مع الإسلام والتي يصح أن يُرجع إليها كسبب في الاختيار لأنها النتيجة للامتثال والتصديق للشريعة المحكمة المأمور بالأخذ بها والتسليم لها، فيكون الكلام هنا عن معرفة أمر الإسلام وماذا قدم لنا من نور يضاف إلى ما سبق لتتضح بها الرؤية بأوضح صورة لبيان عظيم الإسلام وكمال أمره واتساع قدراته وعلو صحته، ولتكون أيضاً حُجَّة على الجميع.

***

الإسلام، ما هو الإسلام ؟

الإسلام لغةً هو الانقياد والخضوع لله عز وجل، أي التسليم والاستسلام لله برغبةٍ اختيارية وإتباع أوامره واجتناب نواهيه...

أمّا في الشرع فالإسلام على معنيَيْن أولهما: الإسلام الكوني وهو استسلام جميع الخلائق لأوامر الله الكونية والقدرية.

قال تعالى ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران:83].

فلا مخلوق إلّا تحت مشيئة الله سبحانه وأَمِره، وليس لأيِّ مخلوق أيُّ أمر في تدبير الكون أو التحكم أو التدخل أو التأثير فيما شاء الله وقدَّر، فالكل قسراً تحت ما أمر الله سبحانه وقدَّر ولا يخرج عن ذلك مخلوق كان عاقلاً أو غيره، مكلف أو غير مكلف، فالمشيئة والقدرة المطلقة متفرد بها الله سبحانه وتعالى وهي من صفاته الأزلية الموجودة قبل أن يُخْلَق الخلق ولا تتأثر بشيءٍ أبداً وليس يؤثر عليها شيء، فهي أكمل الكمال وكشبيه لها فهذا أبداً محال.

أما المعنى الثاني: فهو الإسلام الشرعي وهو الانقياد والطاعة لأوامر الله سبحانه وتعالى الشرعية وهي على قسمان: قسم قديم مرتبط بالجديد في أصله فيما يدعو إليه وهو الإسلام العام، وقسم موجود وعليه بعد نزوله وجبَ الأخذ به والتسليم له، أما القديم فهو كل ما أنزله الله سبحانه على الأنبياء جميعاً وهو أصل الرسالات وعليه تقوم دعوة كل نبي ورسول بتوحيد الله والامتثال للشرائع، وأمّا الجديد فهو الدين الذي بين ظهرانينا والذي أُنزل رحمة للعالمين وأُمر ببلاغه بالرسول الأمين محمد بن عبد الله عليه الصلاة وأتم التسليم، ولذلك فيفهم شرعاً أنَّ الإسلام هو أصل كل رسالةٍ سماوية ودعوةُ كل نبي من لدن آدم إلى قيام الساعة وهذا مشتركُ كل منهج إلاهي والذي قوامُهْ على دعوة التوحيد، وبأمر الله سبحانه كان الإسلام ببدءِ دعوةِ محمد ﷺ له هو خاتمة الرسالات وما عليه الإتباع وجوباً ولا يُعتمد غيره في باب القبول.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩﴾ [آل عمران: 19].

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران:85].

إذ فمحور حديثنا وما عليه أمرنا هو الإسلام الخاص، وهو كما قلنا دين الله للعالمين والمطلوب إتباع منهجه والعمل بمقتضاه والاحتكام لشرعه وعليه يقوم الحساب بعد نزوله على كل إنسٍ وجان... وقد بيَّن لنا الرسول الكريم ﷺ الإسلام فقال: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ :شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، وإِقَامِ الصَّلَاةِ، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضَانَ» رواه البخاري.

وهذه التي أخبرنا عنها رسولنا الكريم هي أركان الإسلام الخمسة وهي قواعد بناءه التي لا ينتظم البناء إلا بكمال وجودها ولا يصح إسلام المرء بتغييب أو إنكار أحدها فتُأخَذُ اعتقاداً وعملاً كاملةً غير منقوصة، ولتبيينها فأوَّلُها الشهادتين وهي النطق لفظاً بأنَّه: **لا إِلَهَ إِلَّا اللَّه مُحَمَّد رَسولُ اللَّهِ،** مع الإيمان بها قلباً والعمل بمقتضاها والإقرار بما تدعو إليه من توحيد الله وإفراده بالعبودية والتوجه وأنَّه المستحق للعبادة ولا سواه، وليس له شبيه ولا ند ولا شريك وأنه المتصرف بهذا الكون، وقد خلق الخلقَ بأمره ورادهم إليه لحُكمِهْ فله سبحانه الإفرادْ والتوحيد في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، ويلزم إسلاماً الاعتقاد أيضاً مع التوحيد بأن محمد ﷺ نبي الله ورسوله، وقد بعثه الله سبحانه لتبليغ الإسلام كدين للناس كآفة وأنزل عليه القرآن الكريم بواسطة الوحي جبريل عليه السلام وانه معصوم ومشرِعٌ من عند الله وبأمره وانه لا ينطق عن الهوى وأن محبته وطاعته عليه الصلاة والتسليم من محبة الله وطاعته ومن إتِّباع الدين...

وثاني الأركان هو الصلاة وهي عبادةٌ بدنية بعمل الجوارح، وقلبية بالإقبال

والخشوع، أمر الله بها وأوجبها على كل مسلم وتعدادها خمس صلوات مؤقتة توقيفياً ومفروضة شُرعت في رحلة الاسراء والمعراج بتكليف مباشر من الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم وهذا دلالةٌ على عظيم أمرها ورفعةِ قدرها وشأنها، وقد بيَّن الرسول ﷺ كيفية أدائها للمسلمين كما علَّمه جبريل عليه السلام، وهي علاقةُ عبودية وصلة بين العبد وربه يقف فيها المكَلَف طاهراً مستحضراً النية مستفتحاً بالتكبير متوجهاً للقبلة يدخل فيها العبد في لقاءٍ مع خالقه سبحانه وتعالى معظماً له سبحانه راجياً عفوه متقرباً إليه بما أمر وراغباً بما عنده سبحانه...

وانَّ الصلاة في الإِسلام عنوانٌ ظاهر لكل مسلم وارتباط دائم لا ينقطع مع المعبود سبحانه وتعالى وهي مما يعرف به أهل الإِسلام ويُميزون بها عن غيرهم في هيئتهم واجتماعهم ونداءهم فهي عزٌ للعبد وجوهر قلبه بما ارتبط من علو واتباع، فالوقوف بين يديِّ الله سبحانه تشريف ما بعده تشريف وهي ليست فقط حركات بل هي إسرار ورحمات، فالإنسان عندما يقف ملبياً لنداء الصلاة أمام خالقه ينتقل بها إلى دائرة الرحمة والاستشعار الإيماني والاقبال القلبي فسبحان من أكرم عباده المسلمين بهذا الوصل والعطاء ولمن أراد منهم المزيد من اللقاء فباب الولوج في كل حين بالنوافل والطاعات...

والثالث من الأركان هي الزكاة وهي عبادة تتعلق بما كان عند المُكَلَّفْ من مُقَدَّرات جعلها الله عنده ورَزَقَه إيّاها فيأُخذ منها متى ما بلغت النصاب ويعطى لمستحقيه وهو حق لهم بأمر ربهم، والزكاةُ بر وإحسان وجمالٌ في علاقة المسلم بأخيه الإنسان بتلك الرابطة من التعاون وسد احتياجات الغير وحفظ كرامتهم فأبواب الخيرية والمنفعة في الزكاة متعددة الأوجه وهي عامل من عوامل الحفاظ على المجتمع وحفظ أمره وتوثيق الصلات بين أفراده وبابٌ من أبواب البركة لمال المعطي وتنقيته من الشوائب، ومحرك لعجله الاقتصاد، ومنعاً لاحتكار المال المسبب للضرر العام، وإنَّ للزكاة وجهان جميلان ظاهران فالأول ذلك الامتثال لأمر الله بدفع الزكاة لمستحقيها وربط النفس

بغيرها من اخوانها فتتوسع دائرة الكفالة الاجتماعية والشعور بالغير إيثاراً وإحساناً، والوجه الثاني ذلك الشعور لمن يأخذ الزكاة فيحس أنَّه فرد في عائلة كبيرة لم تنسى شأنه وراعت ظرفه وحفظت كرامته وسدت حاجته فحمل في قلبه الخير للجميع بما رأى منهم من خيرية.

والرابع من الأركان هو الصوم وهو الإمساك عن المُفطِّرات من الفجر حتى مغيب الشمس، وهي عبادة بدنية بترويض تلك الجوارح، وروحيه بإيجاد ذلك الشعور الإيماني المصاحب للحاجة مع الامتناع عنها طاعة لله، والصوم عبادة يتحقق فيها عدم الرياء والامساك عن المعاصي والمفطرات في الخفاء فهي حالةٌ من ايداع الأمانة بالتنفيذ والمراقب هو الصائم نفسه على نفسه والله عليم رقيب على الجميع، وإنَّ للصيام أجراً تعهد الله بمجازاةِ صاحبه خير الجزاء عليه من نفسه سبحانه وذلك يدل على عظيم أمرها وعلو قدرها من عبادةٍ وامتثال.

وإنَّ الرائي لحال المسلمين في شهر صومهم وهو رمضان ليرى ذلك البديع في الإقبال والتقرب بالطاعات في هيئةٍ جماعيةٍ منضبطةٍ ومحكمة لا يعلو فيها أحدٌ على أحد إلّا بما زيد من خير يقدمه الصائم ومن نوافل الصلاة والبر والصدقات، فالأصل على الجميع من فرض الصيام واحد لا تمييز فيه....

والركن الخامس هو الحج لبيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً، والحج عبادةٌ عظيمةٌ جامعة لكل أنواع العبادات البدنية والمادية والامتناع عن المعاصي والمنهيات، وهي علامةٌ بارزة للمسلمين في كل عام يُرى منهم ذلك التوجه بالنفس والجهد في أداء مناسك الحج التي بيَّنها الشارع الحكيم وفعلها الرسول الكريم فكان قدوةً عمليةً لنا في أداء تلك الشعائر وفي كيفية عمل المناسك، وللحج أوقاتٌ مخصوصة وأركان وشعائر منصوصة يجتمع كل مسلم حاج عليها بِنَظمٍ بديع واتزانٍ فريد كأنَّها لغةٌ مشتركة يفهمها كل أحد على ما كانت عليه لغتهُ أو حاله فالحج لغة المسلمين المشتركة كل عام والتي يؤديها كل من قدر على أدائها مرةً في العمر كفريضة وإن زاد في تعدادها فنافلة له وأجر

كريم ...

وإنَّ جميع ما ذكرنا من الأركان فإن لها تبياناً في ديننا الحنيف في كتابنا العظيم وهو القرآن الكريم وفي سنةِ رسولنا الكريم بشرحٌ وافٍ تام لها ولكيفية أداءها ولجمال أمرها وعظيم أجرها، وقد اهتم علماء المسلمين بها أيَّما اهتمام (كيف لا وهي الدين) وإنك لتجد لها علوماً وبياناً وتوضيحاً بأكثر من أن يحصى من الفوائد والأحكام والقواعد فليس منهج على وجه البسيطة قد حوى علوماً محكمة ونظماً بديعاً مُوَثَّقاً مثلما فعل أهل الإِسلام....

وطبعاً هناك الإيمان وأركانه وهذا من عظيم الإِسلام وأحكامه وكمال بناءه، فالإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وهو ملازم لأداء الأركان وقد قال ﷺ في الحديث النبوي حينما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان والإِسلام والإحسان وفيه «قال أخبرني عن الإيمان؟ قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر كله خيره وشره. قال صدقت» من حديث مسلم.

وبعد هذا المختصر في تعريف الإِسلام وأركانه والتي لمن يريد الرجوع إليها لمعرفة أحكامها ومعرفة الإيمان وأركانه فإيجاد المبتغى ميسر لذلك فهو كأبجدياتٍ عند المسلمين يعرفه الصغير قبل الكبير وشروحه مستفيضة في السلوكيات العملية والعلوم المنتشرة بكافة السبل وأوفى الطرق عند المسلمين فباب التعرف على الإِسلام ومحتواه باب مفتوح للجميع وهذا من باب الرحمة من الله سبحانه للعالمين وحُجَّة عليهم، فالباحث قد يستغرق عظيم جهد لنيل مراده للوقوف على أمره لكنَّه هنا ميسر موجود لا يحتاج عناء بحث إنَّما يحتاجُ صدق توجه ونقاء سريره فالشمس يراها الجميع عياناً ويُحَسُ دفئ اشعتها لمن عجز عن الرؤية فكذلك الإِسلام بل هو أعظم ظهوراً من الشمس في وقت الظهيرة لأنَّ الرائي للشمس قد يُحجب عنها لعازل يمنعه من إِدراكها يوماً أو لا يحتاجها وقتاً بعكسِ الإِسلام فهو يلازم حاجة الإنسان للدين بفطرته المجبول عليها وبقلبه الذي يخفق وفكره الذي يبحث عن الاتزان والثبات في معنى

حياته وادراك وجوده ومثالية تنظيم امره والعلم عنه اظهر من الشمس فشمسه لا تغيب، ومع ذلك فمن جمال الكمال في رحمة الله سبحانه وعظيم الإِسلام ان العليم سبحانه يراعي من لم يكتمل له نقاء الصورة فيما وصل إِليه أو ببلاغ المنهج – وهذا من علو الحكمة وكمال العدل – فالحُجَّة على المكلف في أمر الإِسلام ملازم لها وصول الدعوة، فأيُّ سمو على علمٍ على عدل هذا والذي لا يتأتى إِلّا من لدن حكيمٍ عليمٍ رحمن رحيم جل في عليائه وتقدست أسماءه.

ونعود لجوهر طرحنا وهو لماذا اخترنا الإِسلام، فنضع بين يدي القارئ ما لامسته جوارحنا وأدركته عقولنا واتفق مع فطرتنا وحركة حياتنا في أمر الإِسلام فنذكر بها قُدِّر لنا أن نورده مع علمنا السابق بتقصيرنا عن بلوغ تلك القمم الشواهق والبراهين السوامق لعظيم الإِسلام وكريم أمره، وكما قلنا سابقاً سنجعلها كنقاط مع مختصر شروحها لنصل بها للمراد ونبلغ بها المقصود من سبب اختيارنا للإِسلام فتكون شكراً منا على نعمةِ الإِسلام وتثبيتاً لنا ودعوةً لغيرنا لمعرفة ديننا وما نحن عليه من الحق وثبات البنيان، فبسم الله وعليه قصد السبيل والتكلان...

***

بيان الغاية من خلق الإنسان وحقيقة الوجود

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون:115].

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الدخان:38].

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: 56].

قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام:122].

قال تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود:61].

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص:27].

بيَّنَ الإسلام حقيقة أمر الإنسان وماهية أمره وخلقه، فكان بذلك البيان واقفاً على أرضٍ صلبة واعياً ما لهُ وما عليه وكيف هي نشأته وإلى ما سيذهب إليه، فكان بذلك غير متمايلٍ في عقله وروحه تائهاً في دائرة التساؤل عن وجوده وماذا بعد ذهابه، وإنَّه معلوم لكل مدرك أنَّ كل أمر ذي بال عنده لا بد له من غاية ليتوجه إليها بجهده وعقله ومرتبطاً بها بقلبه إيماناً بتحقيقها وهذا ما يشكل الدافع للوصول للمبتغى وإنَّ غياب الغاية هي انعدام للقصد او الشيء فالمعدوم غايةً هو معدوم الوجود حِكمةً وتأدية، ولهذا فالغاية أساسٌ محرك لإدراك التوجه والفعالية، ولكل أمر غايته محدودةً تلك الغاية أو عالية الأهداف متعددة النتائج، وإنَّ الغاية لَحَاجَةٌ يومية يحتاجها الإنسان في حركة حياته ويكون ملاحِظاً إياها أو غافلاً عنها لاشتراكها مع غيرها في الوصول للمطلوب،

وكل هذا في غاية الحركات الإنسانية الشعورية طلباً أو المعتادة تكراراً موجودة قطعاً وإن لم تأخذ ذلك الحيز في التفكير، فهي تلقائية أحياناً ومدروسة في أحايين أمّا غايتنا وهي غاية الغايات فهي تلك الغاية العلوية من خلق الإنسان والموجِهة لكل غاية في ظلالها والتي خُلقَ الإنسان لتأديتها وهي عبادة الخالق سبحانه وتعالى وإفرادهُ بالتوحيد وأن تتمثل الغايات في حركة الحياة بذلك المنهج الرباني وهي أيضاً من باب التسليم والعبادة.

فهنا الإسلام أعطى نقاء الصورة لوجود الإنسان وعلةِ خلقه ليدركها هوَ كمخلوق وأمَّا عِلةُ الخالق سبحانه فهنا نقف فلا نتعدى طورنا ولا نعلو قدرنا، فالله سبحانه يفعل ما يشاء ولا راد لأمره ولا يُسأل عما يفعل جَلَّ في علاه ولا نقول إلّا ما أخبرنا به سبحانه.

ومما قد وعيناه من منهج الإسلام انَّ الإنسان خُلق وله عقل قادرٌ على التمييز و فطرة جِبلِّية مع خلقته توجههُ وتميل به إلى خالقه لتوحيده وطاعته، وإنَّ التكليف واقع عليه بعد أن هُيأت له قوامة الاستخلاف وارتقى عما بين يديه بذلك التكليف وذلك التشريف وأَنَّ له حرية الاختيار، وإنَّ تلك العبادة التي هي غايته الحقيقية وسبب ايجاده هي تكرمةٌ من الله سبحانه للإنسان بأن يتعرف على عظيم صفاته وكريم أسماءه وأن يبقى في معيته سبحانه في دائرة التوجه الإيماني والتسليم وصحة الاعتقاد القلبي والتوجه السلوكي بالجوارح مع خالقه طاعةً وعبادة له سبحانه في دار الدنيا وتنتهي بعظيم الجزاء وخير المقام والثناء في دار الآخرة... ومع تنفيذ تلك الغاية المثلى والعلوية وفق مراد الله سبحانه من الايجاد والخلق فيجد الإنسان نفسه متحركاً بواقعية ملموسة النتائج في حركة حياته بما يلقى من كمالٍ في المنفعة المصاحبة للتطبيق واعتماد المنهج فتستقر بذلك روحه في باب الطاعات والتقرب إلى رب البريات ويتزن عقله بما أدرك من التلاؤم بين علو الغاية وشواهد الامتثال وما ينال من امتثال التطبيق، ويجد الجسد أيضاً رُقيَّ ذاته بما بلغ من أعلى مقامات التكريم لمَّا تمثلَ بما يُهذبه وينظم أمره مما شُرِّعَ له

ليبقيه على رقيه على من لا تكليف عليه فإن علو الذات والروح كل ذلك مصاحبٌ ملموس مع علو الغاية وأيُّ غايةٍ أعلى من تلك الغاية التي خُلق الإنسان لأجلها ونال هو فائدةِ تنفيذها والعمل بمقتضاها ونال منها معيه الله سبحانه والاستقرار في رحمته بذلك الخلود في الجنان والرضا من الكريم المنان...

فالخلاصة أنَّه متى ما اتزنت مدارك الإنسان فبذلك تستقر روحه وتطمأن نفسه وتهدأُ جوارحه بما عَلِمَ مِنَ الإِسلام ما هو، وما عليه، وإلى أين سيصل، وان الدنيا هي دار مرور واختبار وإنَّ إيجاده تكريم له بربطه مع الخالق إيمانياً وتعبدياً وان التمثل بالإِسلام كمنهج هو طريق الخيرية في التنفيذ وفي الوصول للغاية من الايجاد وإِنَّ عِظَمَ الغاية تكريم لمؤديها...

***

اعطاء الصورة الصحيحة لخلق الكون والإنسان وبداية النشأة

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:164].

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران:190].

قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام:101].

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يوسف:105].

قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾ [الحجر:19].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة:7].

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين:4].

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران:59].

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر:49].

إنَّ الإِسلام الكريم وهو رسالة الله سبحانه للعالمين نجد في أُصوله بياناً واضح المعالم وكامل الوصف والإثبات لحقيقة ايجاد وخلق الكون وكيفَ نشأ، والمراحل التي مر فيها، وكذلك تجد أصلَ نشأةِ البشرية على وجه الأرض وأصل تفرعها من بداية

الأمر، فكل إنسان على مدى التاريخ الوجودي للإنسان هو في أصله من نسل آدم وحواء عليهما السلام، فهما أصل البشر وعنهما تفرعت البشرية، فقد خَلق الله سبحانه آدم عليه السلام وأُمّنا حواء وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، وخلقهما على أحسن صورة وأكرم هيئة وعلَّم الله سبحانه آدم الاسماء كلها، فكان آدم نبياً موحداً عابداً عاملاً عليه السلام، وعنده من عِلم الصنائع والأسماء ما قَدَّره الله له أن يعلم، وهذا التعداد من البشر كله من أصل واحد وأمَّا ما يقال من تطور وجود الكائنات وتلك النظريات العمياء عن الحقيقة والجوفاء عن الواقع، فلا يُأخذ بها ولا يعد لها اعتبار فما هي إلّا اجتهاد عقلي عقيم لمن كانت قاعدته في الفهم لا تمت للإيمان بالخالق بصلة حقيقية فكيف يَقبل عادلٌ عاقل ما تطرحه معتقدات غير المسلمين في أنَّ أصل الإنسان قرد فتطور على مدى الزمان وأصبح كهيئته الآن، أليس هذا ضرباً من الخيال وميلاً إلى الجنون، وما دلالة ذلك إلّا أنَّ قائله قريبٌ من طرحه بنقص العقل واشتراكه مع أصل معتقده فهما متساويان في الفهم؛ بتلك النظريات والأفكار السائبة والتي لا تعطي ما أعطاه الإسلام من عظيم الاستقرار بفهم الايجاد وبيان التكريم للإنسان منذ البداية وحتى النهاية، وملاحظٌ هنا لمن اراد التدبر أنَّ كل من خرج عن طور الحق وزرع الباطل لاعتماده على غير أصول الحق ورفضهُ للتسليم للحق فهو دائماً يذهب بنفسه إلى الدونية والحيوانية وهذا يتوافق مع جهله وقدرِه، فلماذا يريد بهم الخالق سبحانه العلو والبقاء على منزلة التكريم التي وجدت مع أصل خِلقتهم وحملهم التكليف وهم ينأون بغير ذلك ولا يرضون إلّا الالتصاق بالدونية واثبات جهلهم، فهذا جزاء من أَركَن إلى الأرض ورضي بعقله وعِلمه القاصرين دوناً عن الكمال في الشريعة الواضحة والنهج المبيِّن للأمور والأحداث، ولننظر للإسلام وكيف بيَّنَ فيما ورد في أعلى أصوله من كتاب الله سبحانه وفي صحيح ما وردَ من سنته عليه السلام من بديع الحقائق في معرفة هذا النَظم البديع الدال على مُطلق القدرة للخالق سبحانه في خلق الإنسان وإيجاد الكون وكيف ذلك التوازن والنسق اللامحدود والبعيد عن قدرة المخلوق من البشر أن يدرك

كنهه وعظيم أمره، فتلك السماوات والأراضين والخلق أجمعين لا يمكن بحال من إنسان ان يحصيها كعددٍ فقط فكيف بأمر تدبيرها وعظمةِ تنظيمها أليسَ هذا دلالةً على وجود خالقٍ متفرد بالقدرة وله الأمر وهو على كل شيءٍ قدير، وانَّنا كمسلمين لا نعاني مما يعاني منه غيرنا ممن رفض الدين وأبى التسليم لرب العالمين، فنحن نؤمن وعلى يقين بما أخبرنا به رب العالمين عن نشأة الكون وأيضاً عن نهايته، وعن بديع أمر الخلق تدبيراً وتنظيماً واتزاناً وتوافقاً، وعن نشأة الإنسان وأطوار خلقه بدايةً من العدم كخلق آدم ثم في رحم أمه لمن كان بعده، فلا نتخبط فيما تخبط به غيرنا وتاه عن تكريم نفسه لمَّا ربطها بما ليس بكريم، ولا نتوه في ما قد يحول من أمراض الخواطر ممن ليس عندهم يقين ولا إدراكٌ مبني على قواعد علوية صادرة عن الخالق نفسه، فسبحانه من كمال رحمته وسعة حكمته أن بيَّن للإنسان أمره وما هي أصول النشأة وخواتيمها للإنسان والكون فلا يبقى بعد ذلك أيُّ حيرةٍ في ماهية الايجاد ولا يُركَنُ إلى توالف الفهم لتعليل البداية والنهاية، ومن الجمالات فيما وصلنا من البيان لفيه أيضاً رحمةٌ للإنسان للتدبر في عظمة الخالق وهذا من عظيم التوجيه وسُبل الهداية...

***

الإسلام منهج حياةٍ كامل

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:3].

قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:14].

قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية:18].

بدايةً لا بد لنا أن نعي أنَّ الرائي بعين التدبر والإنصاف ليرى تعداداً لتلك المناهج والأنظمة البشرية التي تنظم حياة الإنسان وتعاملاته وتسن القوانين للحفاظ على خط السير الموافق للتصورات والأهداف المطلوب التقيد بها وعدم التعدي على القيَّم والأحقية لكل طرف فيها وهذا نجده في كل مجتمع وأيِّ جماعة اجتمعت فيما بينها وارتأت أن تجعل لنفسها إحاطةً ومرجعية في التنسيق بين الأفراد وحفظ الحقوق، لكن يفرض السؤال هنا نفسه، فأيُّ تلك المناهج أو المعتبرات من قوانين وأنظمة تصلح صلاحاً كاملاً لحركة الحياة على اتساع دائرة محتواها وتنوع متطلباتها؟ وأيّ من تلك الجهود بلغت مبلغاً استطاع أن يحيط الإنسان ويكفيه فيما يجول في نفسه وفيما ينظم علاقته مع ربه وفي تعاملاته مع غيره، وأيُّها كان كافياً متفرداً لا يحتاج إلى غيره؟ وأيها يجمع بين الثبات لكمال أصوله والكفاية لتنوع الأحداث؟ وأيها كان مرشداً اخلاقياً وموجهاً قيمياً ووازعاً دينياً ومنظماً اجتماعياً وكافياً لتساؤلات النفس في بواطن أمورها وعلو ميولها؟

والجواب قطعاً لا يوجد ايُّ منهجٍ إنساني يحتوي على كمالٍ في جانبٍ واحد من تلك الجوانب دوناً عن الكل او عمن لم نذكره، ولذلك القصور مبرر؛ فواضع المنهج والنظام البشري لا بد أن يجتمع مع أقرانه وخبرات من قبله ليوجِد ذلك النَّظم بالصورة التي يعتقد أنَّها الأمثل، وهذا وإن أصابت جزءاً من المطلوب لكنها جزئية في طرحها محدودة في قوامها ضعيفة في ثباتها ومتجددةً بتعديل ليس للوصول للكمال بل هو تغيير

بطرح النقص الواقع واستبداله بالأنفع بعد ثبوت ضعف الجدوى في السابق، وهناك أمر في القديم وما أُستحدثَ بعده فالقياس والدعائم التي بني عليها على أي قواعد أقيمت؟ وأيُّ عقولٍ هي التي سيطرت وقوةً تحكمت فجعلتها متنفذة على الأفراد؟ وهل إذا حضرت قوة أعلى أو فهماً أوسع فيما بعد، فعلى من نعتمد؟ وهل الواضع لتلك الأنظمة كانت عنده المنفعة الشخصية لنفسه أو جماعته هي أساس فيما أُعتمد؟

ولذلك فهذه التساؤلات وغيرها الكثير تجعلك تبحث عن المنهج الحق، وإن اردت الحق ولا شيء غيره فالإِسلام هو مبتغاك لأنَّه المنهج الحق وهذا ليسَ تحيزاً أعمى بل هو إيمان وتسليم وكمالٌ في الاختيار ومثاليةٌ في النتائج فالحلُ بهِ قبولاً وامتثالاً.

ولذلك فهناك العديد من الاعتبارات التي حقَّ لها أن تجعله المنهج الكامل لحياة الإنسان والذي لا يصلح فيها لهذا الدور سواه، ومنها:

* لأنَّه شريعةٌ ربانية وصراط الحق من الخالق سبحانه للعالمين، فواضعه سبحانه أَعلم بمن خلق فهو خالقهم ومحيطٌ بأمرهم وبحكمتهِ الكاملة وعدله المطلق أَعلمُ بما تنتظم به حياتهم على أكمل وجه وأعلى توجُه...

* الإِسلام منهج حياة واقعية ولا بد ان يكون حركةً واقعية ومرجعاً أصيلاً للحياة لنيل المراد وتحصيل المثالية...

* لأنه منهج تناول كل جوانب الحياة للإنسان في نفسه ومع غيره، فأَحاطةُ المنهج إحاطةً توصله في كل طريق إلى المثالية وعلو المقاصد...

* أوجد الكفاية لفهم الإنسان لحقيقة نفسه فكان بذلك الإدراك الإيماني في دائرة الطمأنينة بالارتباط مع الحياة...

* قام الإِسلام ببناء الشخصية الإِسلامية وجعلها مقترنة بعلو القيم وأعالي الأخلاق والسلوكيات...

* بيَّن المنهج للمكلف علاقته مع ربه وكيف يؤدي ما عليه من عبادة بما أمر سبحانه...

* نظَّم المنهج له حركة حياته الاجتماعية والاقتصادية وأن يكون الاعتماد في الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية قائماً على التصور الاعتقادي والشرعي الإِسلامي الصحيح...

* المنهج الإِسلامي ليس شعوراً وجدانياً أو شعائرَ تعبدية فحسب بل هو منبعٌ لحركة الحياة تنظيماً وتوجيهاً وتعليماً.

* المنهج الإِسلامي كفايةٌ لفهم ما مضى من الأحداث ولما سوف يأتي فهو مُعلِّم ومُقَيِّمْ..

* الخيرية في المنهج الإِسلامي تعود على ذات الأفراد...

* الترابط بين مقومات المنهج والتي تنظم شؤون الحياة بتوازن بديع وتدفق للمنافع والتحصيل...

* المنهج الإِسلامي رسالة دعوة وتعليم وتأديب وتوجيه وإرشاد وتكريم وبيان...

* المنهج الإِسلامي ميزان ثابت يصلح اعتماده كاملاً لعظيم ثوابته وكمال أصوله وعلو حكمته وسعة قدرته...

* المنهج الإِسلامي صالحٌ ومصلحٌ لكل زمان ومكان...

* المنهج الإِسلامي مصدر التشريع والقيَّم والتصورات وسمو الأخلاقيات والعبر والأحكام.

* المنهج الإِسلامي يعمل على تفعيل وايجاد المصالح وتوجيهها للمثالية المرتبطة مع الآخرة.

* منهج يحافظ على الإنسان وضروريات حياته ومن ذلك احتواءه على نظام الحدود والعقوبات التي لا يوجد ما يكافئها في الأنظمة البشرية...

* يوجِد السعادة للإنسان في حياته والسعادة في الآخرة باعتماده...

* المنهج الإِسلامي تُتَرجم مثاليته إلى واقع ويرفع الواقع إلى المثالية...

* منهج عزيز نَظَّم العلاقة بين الأفراد في كآفة دوائرهم الحياتية كأفراد وجماعات.

* نظَّم العلاقات الأسرية وبيَّن الحقوق والواجبات لكل فرد فيها، وتوسَّع تلك العلاقات مشمولة بالتنظيم والتوجيه...

* أوجد أكمل النُّظم المتعلقة بالتبادل التجاري والمال ووَضع الأسس التي تقام عليها الأنظمة الاقتصادية والتداولات بما يوافق الوجه الشرعي المطلوب..

* راعى الأمن على كآفة وجوهه النفسية والمادية والاجتماعية.

* المنهج الإِسلامي نظام دين ودولة فهو منظِّم لمناحي الحياة للأفراد وللمجتمعات والدول وأساس العلاقات، وما يصح أن تسير عليه من نُظُم واعتبارات موافقة للشريعة...

الخلاصة: الإِسلام منهج حياة واقعي كامل الكفاءة ومكتمل الأركان أتى ليعيد البناء البشري على أعمدة الفطرة وهدي الوحي الرباني، وعالميته وشمول طرحه هي دلالة على قدرته لاستيعاب الأمر وعلى مثاليته وكماله... وإِنَّ الإِسلام كمنهج علوي المصدر فهو يتماشى مع الاحتياجات والمتطلبات الاصلية والطارئة للإنسان فيراعيها دونما أن يتضاءل كعاجزٍ عن تحقيقها أو أن يصبح تابعاً لها...

***

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر:9].

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت 41 – 42].

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝٢٧﴾ [الكهف:27].

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: 2].

إنَّ الاختيار الأمثل دائماً ما يدور على المُختار الثابت أصلاً الناجح نهجاً واتزاناً، وهذا من مقصود الوصول الأكمل لأي هدف وهي من سمة المُوجِه والمُسيِّر الناجح والمنهج المتفوق، ولهذا من جماليات جمال الإسلام كاختيار ذلك الثبات الذي يتميز به دوناً عن غيره؛ فأصوله ذات ثبات متزن ومتوافقة مع بعضها بشكل تكميلي لغير نقص وما تلك الكمالات في الثوابت إلا امتداداً لإرادة موجِدها ومشرِّعها سبحانه فالقرآن وهو المرجع الأول كلام الله وشرعته للعالمين، وسُنَّة النبي عليه الصلاة وأكرم التسليم الصحيحة هي تعاليم وشرح كريم وبيان لأمر المسلمين، فالإسلام بنيان متوازنٌ أركانه بديع نسقه وإحكامه، لا ترى فيه ميلاً في جانب على حساب آخر مما قد يشوه له صورة أو يعطل له حكماً فكماله من كمال مشرِّعه، وانتظام البنيان واتزان الأعمدة والأحكام دلالة على أنَّه ليس من صِناعة مخلوق بل رحمة مهداة من الخالق سبحانه للمخلوق.

والإسلام لا تجد فيه تناقض أو ازدواجية في المعايير فميزان الضبط علوي ومتعَهدٌ بالحفظ وهذا ما يميز هذه الرسالة عن سابقاتها من الرسالات بأن تعهد الله سبحانه بحفظها بعد إرسالها وذلك لامتداد مطلوبها مع عالميتها في نفس الوقت، فانحصار الرسالات السابقة بفئة معينة جعلها لم تحمل صفة العالمية في التبليغ مثلما كان للإسلام فهو الرسالة الخاتمة والتي حملت همَّ الهداية والرحمة للعالمين تكرمةً من الله العزيز

الكريم، وإنَّ المبحر في علوم هذا الدين لا يجد فيه أيَّ اضطراب يحوله عن الوصول لكمال الغاية وفهم المقصود وإنَّ تميز أصوله بالثبات الناجم عن الكفاية الذاتية لأصل المنهج والتي لا تستدعي اللجوء إلى أيِّ جهد بشري لإكمال ركن فيه أعطى ذلك الكمال مرونة في التعامل في فروع أحكامه وطرحه من قبل أتباعه بحيث ينقبون عما فيه ويُعّملون جهودهم في دائرة الاجتهاد والقياس بتوجيه مثالي ضمن القواعد والأصول، فيكون حينها كل جديد يوافق ويستدعي أن يُتعامَل معه بكونه نابعاً عن الأصل فهماً وادراكاً واشراقاً فلا خروج عن دائرة الإحاطة الشرعية والمقاصد العلوية والتوجيهات المحكمة للإسلام، ففي الإسلام بذلك التوازن البديع لا يوجد تصادم في جوانب تشريعاته ولا في ملتقى أحكامه، فالمنهج العلوي وهو الصراط المستقيم لا يتعدى أن يكون طريقاً واحداً موصِلاً لله سبحانه، ومنظماً بامتثاله لحركة الحياة لأتباعه، فهذا جمالٌ على طمأنينة بالتسليم للكمال المطلق والحكمة البالغة في المؤدى. ولا بد أن يُعلم إنَّ هذا الدين الحق يعلو ولا يُعلى عليه ويؤخذ منه ولا يؤخذ عليه وإن اشتبه لدى البعض أنَّ هناكَ تعارض في بعض أمره فنقول إنَّ هذا الذي يكون ظاهره التعارض إنَّما يكون لأسباب وهذا معذور صاحبها وعليه ان يبحث عما يُذهب عنه حيرته فيطلب العلم لها ولشرح أمرها فيذهب بذلك ظلام جهله وتنقشع غيوم حيرته، ولكن هناك القاصد في القاء الشبهة ووضع المتشابهات والذي يقصد النيل من كمال الصورة والنقض في بنيان الإسلام وهذا يكون لعداء الغاية ونكران الحق وإتِّباعه، وفي الساحة ظهور فيما احتوت افعالٌ من هؤلاء وهؤلاء . وما خاطت أيادي آثمة ممن كاد العداء للإسلام إلّا ثوباً مهترئاً من الجحود والكذب ودليلنا على صحة أمرنا بقاءُ صرح الإسلام الذي لم ولن يتهدم لأنه مُتعهدٌ بحفظه ولعزيزٌ أمره فلو كان من عند غير الله لقدروا عليه ولذهبوا به لكنهم عندما اختاروا الظُلمة على النور ذهب مع ضلالهم نور قلوبهم وادراكات عقولهم بما اتبعوا من الهوى والزيغ...

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [آل عمران: 7].

***

احترام العقل والتوافق مع الفطرة السوية

قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: 18].

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: 78].

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:24].

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [القصص:60].

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم:30].

إنَّ من أسباب اختيارنا للإسلام هو من منطلق احترام العقلانية الحق والتوافقية مع الفطرة وهذا فيه مدلولٌ عالٍ على المنهج الإسلامي والذي لا بد أن يعلم عنه حقيقةً عقدية لازمة بأنَّه الحق والصراط المستقيم وهو المقياس الحقيقي الذي يقاس عليه الأمر لأنَّه المرجع الأوحد العلوي الخالي من الخطأ والتحريف والبعيد عن الجهل والتخريف، فإذا ما نظرنا متأملين، ومنصفين صادقين، لعلاقة العقل والفطرة مع الإسلام كتدين وحركة حياة منتظمة في ظل منهج شرعي وصورةٍ لإدراكٍ واضحة في قالب تفهيم عُلوي لأدرك كل عاقلٍ راشدٍ في الإدراك وصاحب قلب منصف وفكر نقي ان ما يقابله هو المنبع النقي والسبيل الوافي الذي يغمر الفؤاد ايماناً، والعقل استيعاباً، والفطرة النقية اكتفاءً، وهذا حق يدركه كل نقي السريرة ومتزن العقل وأبيض القلب ايماناً، فالإسلام بصورته الحية في معترك الحياة وفي فهم المحيط والتعامل مع الأحداث لا يجعل ذلك العقل المدرك والذي هو أساساً مناط التكليف تائهاً متخبطاً بما حوله بل على العكس تماماً فالعقل حينما ينظر بفكره وعلو ادراكه لحكمة الشريعة وتمام عطاءها يعي تماماً أنَّ

الأرض التي يقف عليها أرضٌ واقعية واثقة البناء والأركان تلبي جوانب الاحتياج وتدعم الضوابط المثالية للوصول للغاية بكمال لا نظير له في المناهج الأرضية، وهذا الرضا العقلي والاشباع الفطري السوي لا يتأتى ولن يتأتى بمثاليته في تحقيق الغاية وبكمال التحصيل من الامتثال إلّا إذا كان مرتبطاً بمنهج علوي، هذا المنهج الذي أريد منه الرحمة بالعالمين وتيسير أمورهم وتنظيم حياتهم وفق مراد ربهم وهذا هو الإسلام فكفى به من نعمة، وكفى به من نظام احترم العقل وقدَّره وكيف لا وقد انيط به التكليف وكان لصاحبه تشريف ولم يُترك خاملاً مهجوراً بل الحث على إعماله واستخدامه والتدبر والتفكر متعدد في الكثير من الشواهد في أصوله وتعاليمه، ولينظر العاقل الذي امتلئ قلبه بالإيمان واستسلم لأمر الرحمن كيف يجد في منهج الله سبحانه إجابةً عن كل شيء وتوجيهاً لكل خير ودلالةً للوصول وتشجيعاً للمأمول فأي جمال على جمالٍ هذا، وأَنْ أُعطيت الإجابة قبل الامتحان، فمالكَ أيَّها الإنسان نعم فما لك أيها الإنسان ؟! فإنك في دار اختبار وكل أمر قد بُيِّنَ لك والرسالة خالية من الشك فلم هذا العناد ولماذا هذا الابتعاد، فإن أصل عقلك نقي وفطرتك سوية فلا تُلوِث عقلك ولا تُنكِس فطرتك فما قد وقع في الهلاك وابتعد عن الحق إلّا من اعتقد أنَّ عقله المخلوق هو الحاكم على الأشياء وجعله بمنزلة الإله، فأيُّ تعدٍ هذا وعناد، وأيُّ خروج عن الصراط، فما العقل الوافي الإدراك إلّا دالٌ لصاحبه على الخير، فهو وسيلة وشاهد وليست عليه المقاييس والغاية وما هو إلّا وعاءٌ جمع ما احتواه بما أُدخل عليه من الجوارح وخبرات الغير فلا يضيء بنفسه بل يحتاج لغيره وأيُّ نورٍ أَجَّل وأجمل وأكمل من نور الهداية وتعاليم الوحي...

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾ [الملك:10].

الخلاصة:

لا جمالَ على نقاءه إلّا متوافق مع العقل السوي والفطرة النقية، وهذا التوافق نراه مطبقاً في أصول الإسلام وتطبيق أحكامه وفهم مراده وأما ما كان مضطرباً خارجاً عن الجمال الأكمل والنفع الأمثل فلا مكان له في المنهج الإِسلامي، ويُلحق أيَّما قد يتأتى عنه ضرر أو فيه غياب للأسمى فيما ينهى عنه الإِسلام فكمال الإِسلام لا يرضى الأخذ بالنقائص ولا يجعلها ذات قيمة ولينظر كل عاقل لمن رضي بالدونية كيف هي إملاءات ونهج حياته وطبيعة علاقاته وليتدبر...

***

حفظ الفرد والأسرة والمجتمع

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: 13].

قال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢﴾ [طه:132].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:1].

حقَّ الحق باختيار الإسلام؛ فمن تعامله وتنظيمه وحفظه للمجتمع العام شاملاً الأُسر والأفراد أوجد تلك الإحاطة بالفرد والتهيئة على التنشئة الحسنة الصحيحة وايجاد البيئة التي تُنَمّي تلك التهيئة وترقى بالأفراد في أحضان أسرة واعية مؤمنة تزرع في نفوس أفرادها حب الخير والالتزام بالتعاليم والتوجيهات الشرعية، فكمال الإسلام في الإحاطة يسع كل جزء فيما يتعلق بالمجموع العام للأفراد، فلا تجد جانباً إلّا وفيه التوجيه الأمثل والتشريع الأكمل للاعتماد بما يعطي ويؤمِّن السعادة للأفراد وحسن الانتظام وحفظ الحقوق بينهم، فالإسلام كمنهج حياة وموجد للخيرية والسعادة ليعود العمل به انعكاساً على المتبعين لتعاليمه بالصورة والشكل الأنفع في مدار الحياة وتقاسيمها.

ومن جماليات الإسلام أن حَفِظَ الفرد وقيمته الاعتبارية في نفسه وبما كان خاصاً به في أيِّ أمر عادي أو معنوي، وأوجد التقاسيم الدقيقة للحقوق والواجبات بين الفرد مع محيطة القريب ومع البعيد أيضاً.

وإنَّ سِلسلة الحفظ من طرف الإسلام للفرد تمتد من قبل ولادته بإيجاده ضمن بيئةٍ قائمةٍ على شرعيةٍ في الارتباط، وتمتد حتى علاقات المجتمعات مع بعضها البعض

ووصولاً لعلاقات الدول، فالإِسلام لم يهمل الفرد في أيِّ دائرةٍ من حياته مهما كانت حالته أو مستواه وحفظ له اعتباره وبيَّن له مكانته وذلك الترابط بالحفاظة أوجد علياء العز والكرامة في نفس المؤمن بذلك الارتباط مع الدين الذي رفع شأنه وحفظ له أمره وجعل أسرته مشمولة في أسرةٍ كبيرة هي مجتمعه العام فأي حنو وتقدير وأيُّ رابطة واضحة ومُقدِره ومنظمة تجدها كما في الإِسلام.

خلاصة:

العلاقات الأسرية وأسس قيامها وعلاقات الأفراد وحقوق الأبناء والميراث والزواج والطلاق وما تدور عليه ارتباطات الناس ببعضهم لها في الإِسلام أوضح تعاليم وأعلى تقييم وأشمل تناول وأكمل المنافع وأحكمها، وهذا حقٌ عرفناهُ بارتباطنا مع الإِسلام ويؤكده بما رأينا ما قد أصاب غيرنا من عجزٍ في مجتمعاتهم ولا يجدون حلاً أمثل إِلّا بإتباع الأمثل وهو الإِسلام.

***

حفظ الحقوق ومنع التعدي ونظام العقوبات.

قال تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ [البقرة: 179].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:90].

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ [المائدة:2].

قد استقر لكل إنسان كفرد في أيِّ مجتمعٍ كان، أنَّه يندرج تحت سُلطة قانونية وهيئة اعتبارية تحكمها دساتير وأنظمة تنظم العلاقة بين الأفراد وتسن ما هو ملائم لِتَسيير الحركة الحياتية وضبطها مؤدية بذلك حُسن سير الحركة الاجتماعية وتداولات أفرادها تحت تلك المنظومة وكلٌ قد اقتبس من الرؤية الخاصة به ما يؤهله باعتقاده للسير عليها من حيث تجاربه المتداومِة، والخبرات السابقة، والنفعية المؤدية لما وضعه من دستور أو قانون يسير عليه ويجبر الآخرين بما له من سلطة على الأخذ والاذعان له، وهذا في عموم المجتمعات وهو صورة من صور الاستقرار لها والمواكبة للأحداث الداخلية والخارجية التي تحدث بشكل تفاعلي متزامن مع سلوكيات وميول الأفراد، لكن الذي نحن هنا بصدده والمؤشرين عليه ذلك النظام الأكمل والدافع الأمثل في حفظ الأمن والإحاطة بِمِنعَةِ المجتمع على درجاته الاجتماعية واعتبارات أفراده في شخوصهم وفي مقدَّراتهم المادية والمعنوية، وإنَّ الناظر بشمولية واعية ومنصفة للإسلام لَيَعلَم أنَّ الإسلام كدين وشريعة سماوية قد أوجدت الاستقرار والانتظام على كآفة الأصعدة والقواعد بالنسبة للمجتمع، ووضعت الحقوق والواجبات وبيَّنت ما هو المسموح التعامل به وما هو المخالف والمحظور، فبدءًا من اكتمال الصورة العامة للمنهج وايجاد الأرض الصلبة والصالحة للاعتياش وإقامة دعائم الحياة والحفاظ على الضروريات المتعلقة بالأفراد وتأمين الأمن اللازم لكل دور لجعله ايجابياً في حركة التداول ومؤدياً

لدورة على أكمل وجه وأعلى نفعية، مع المراعاة –للفرد– لقيمته الاعتبارية والحفاظ عليه وابقاءه على درجته في التكريم وعلو الارتباط وقدرته على اداء الشعائر التعبدية والواجبات الدينية بالصورة المطلوبة وبالتوافق المؤدي لحسن التنفيذ، وبعد هذا الاستقرار المجتمعي الذي يوجده الإِسلام والذي من خلاله يُؤدى المطلوب ويُحافَظْ على المقاصد وكينونة ومصالح الأفراد لذلك كان ولا بد مع أصل الكمال في المنهج الإِسلامي أن يكونَ هناك سورٌ مانع ونظام يحفظ ذلك كله لأَلى يخرج عن نَظمه ويفقد الأفراد جانب الأمن على أنفسهم وعلى حركة حياتهم وحقوقهم وبالتالي تنطمس الصورة المثالية للتطبيق والعلو في التأدية والتحصيل، ومن حِكمة الإِسلام في مواجهته لأحداث الحياة ومن كمال تعامله معها أتت الشريعة بالأحكام الثابتة على الجوانب التي لا تتغير من أحداث بالنسبة للأفراد ومن ذلك الحدود والتي هي حقٌ لله سبحانه وجب تنفيذها بشروطها التي بيَّنها الشارع الحكيم لأنَّها أحكام وحدود تميزت بكونها زواجر وجوابر في نفس الوقت والتي مُؤدى العمل بها تحصين للمجتمع بأفراده من أيِّ تعرض قد يلحق بهم ضرراً او تفتقاً في الحياة الاجتماعية، وإنَّ حكمة الله سبحانه البالغة لأعلى من مدركات البشر وقوانينهم على مدى الزمان وأوفر نفعاً في حفظ بيضة المجتمع وأمنه وأفراده، وأمّا ما كان من الجوانب المتغيرة والتي تختلف وتتأثر بتطور المجتمعات وازدياد شبكة العلاقات واختلاف النشاطات فقد وَضعت لها الشريعة مبادئ عامة وقواعد كلية قابلة للتطبيق ومستوفية لنمو الاحداث والصور المستحدثة لتغير السلوكيات...

خلاصة:

الاسلام بنى المجتمع القائم على اعتماد الشريعة وأوجد له الاستقرار الملازم لحركة حياته للحفاظ على المقاصد والضروريات الخاصة بأفراده والتي تناولت أيضاً أيَّ تعامل مع غيره من غير المسلمين، وبعد هذا الكمال في البناء لازمه ما يكون فيه الحفاظ على تلك المقدرات من التعرض لها أو إخراجها عن طورها الصحيح أو تناول القائمين

عليها بأي أذى أو تعدي، وهذا هو الكمال في الإحاطة بصورةٍ حكيمة والتي توجِد الرقابة الذاتية في النفوس أولاً لمنعها من الخروج عن الصراط أو التمادي على غيرها بدون حق وتوجِد ثانياً العقوبات التي تلحق بمن سبب ضرراً أو تعدياً فتكون رادعاً وعقوبةً له وسداً مانعاً لغيره، فحفظ الضروريات هي من أهم مقاصد الشريعة الغراء، وحفظ البنيان العام هو حفظ لذاته ولأفراده الذي يلجؤون إليه في كآفة شؤون حياتهم وشعائرهم...

***

تكريم الإنسان والإنسانية وايجاد السعادة في الدارين

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء:70].

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه:112].

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:97].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه:124].

إنَّ كل عمل يؤديه الإنسان متعلقٌ بغايته التي يود أن يصل إليها ويتَحَصَّل فوائدها وأيًّا كانت تلك الأعمال فدرجات التحصيل تتعلق بالجهد المبذول وكفاءة التنفيذ وهذا كله في أمر المشترك الإنساني على اختلاف معتقد صاحبه، ولكنَّ نظرة الإسلام أرادت أعلى من هذا وأوسعَ احتواءً لكيان الإنسان في حياته وبعد فراقه في باب الخيرية والسعادة وعلو التحصيل؛ فالإسلام يوجد ذلك الرصيد من الرضا الذي هو بمرتبة الغنى لكن بالصورة الحقيقية في التأثير وليست مؤقتة مرتبطة بالمادة أو بحجم المأمول وأيضاً فالإسلام أراد دائرة من جمال التعايش وحسن المعاشرة والبِر بين الجميع فيتحصل الخير من كل أمر وبأقل مجهود وباشتراك في المراد من الحاضر لنفسه وللغائب من إخوانه وهذا من علو النقاء ومحبةِ الخير، وهذا النقاء ومراد الخير هو باب من إيمان حقيقي باعث للسعادة في كل حلقة وأيِّ أمر، وهذا متحصل متوافر ما دام إعمالُ المنهج على المراد الصحيح من قبل الأفراد بهذه الصورة الكاملة للجميع والمطلوبة من طرف التعاليم بكمال توجيهها وبحسن الأخذ عنها، فالإسلام وهو دين الرحمة للعالمين أَرادَ للإنسان في نفسه وفي محيطه الإنساني أن يبقى على منزلة التكريم التي أُنيطت به مع بدءِ

خلقه وأن يحافظ عليها وحفظه ذلك بأن يبقى حاملاً في قلبه إيمان التسليم لخالقه، وأن تتحركَ في الطاعات وترك المنهيات جوارحه، فيرى بأمِ عينه سعادةً في الدنيا مؤقتة واستقرارا بالسعادةِ الدائمة في الآخرة...

مراعاة الإنسان كجسد وروح

الإسلام راعى الإنسان الذي هو مكلف بأداء الرسالة في كامل أمره في نفسه وعقله، وفي رغباته وعلاقاته، وفي روحه وقلبه، ولم يَمِل الإسلام الى تنظيم الماديات وأعمال الجوارح دوناً عن الاهتمام بالروحانيات ولا العكس بأن أوجد هالةً من الرهبانية على حساب المتطلبات الإنسانية بل أوجد ذلك التوازن العام المصاحب للإيمانيات والمتوافق مع الفطرة وتحقيق الاحتياجات وفق قالب وتوجيه شرعي أمثل، وكل هذا التوازن بتلك الصورة العلوية من التنظيم جعل الإنسان في حالةٍ من الاستقرار الإيجابي والفعالية في دائرة الإيمان والعمل التعبدي والمشاركة الإنسانية والاجتماعية مع المحيط...

معاملته لغير المسلمين

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة:8].

الإسلام دين الحق والعدل، ووجود التعاليم الوافية والأحكام الكاملة في التعامل مع غير المسلمين في داخل المجتمع الإسلامي ومع غيره ممن هم خارجه واضحةٌ مُبيَّنة في الشريعة الإسلامية بأعلى صورة وأحكم غاية، وهذه التعاليم الواردة في الدين الإسلامي فلا يَعتقد مُعتقد أنَّها وُضعت لإرضاء غير المسلمين على حساب الإسلام، فمن أرادها من هذا الفهم فقد مالَ عن الحق والحكمة، فالإسلام علوي في ذاته بما استمد حكمته ومشروعيته من موجده ولا يصح أن يكون الإسلام تابعاً منقاداً لغيره وإنَّما كانت هذه الأحكام والتعاليم حفظاً لبيضة الإسلام ولذاته، وموجهةً لأفراده،

ومنظمةً للجميع، وهي أيضاً من تمام العدل والبر الداعي اليها الإسلام أصلاً مع ما تجد فيها من تقديرٍ للإنسانية والإنسان المراعيةَ لشأنه الحافظةَ له بغض النظر عن اختلاف دينه في ظل الاسلام الحنيف...

سعة الرصيد العلمي والفقهي

ليس هناك منهج او تعاليم أحاطت بكل جانب من جوانب الحياة بهذا التدفق والسعة المتصفة بالكمال والتكامل وعلو الحكمة وثبات التأصيل مثلما فعل المنهج الإسلامي، فالرصيد العلمي والفقهي فيه يغطي كل وجهة من أوجه الحياة وتعاليم الدين وأحكامه، فالمسلم فيما بين يديه من ضوابط وقواعد وأصول غني في ذاته، غني عن غيره، بل وأيضاً مغني لغيره.

وهذا العين المعين الذي يتدفق بالخيرية والتنظيم والتوجيه لا يسع أيَّ عاقل إلّا أن يغترف منه بما يُصلح شأنه من غير المسلمين؛ وذلك لأنَّ كمال الحكمة والمثالية في المراد والعلو في التحصيل لا يتأتى إلّا بما كان من مصدر علوي صحيح وهذا تجده في الإسلام، فغير المسلمين يميلون إلى الأخذ ببعض الأحكام الإسلامية وإن رفعوا عنها المُسميات الشرعية، لأنَّهم وقفوا عاجزين عن الإتيان بما يُصلح أمرهم كما بيَّن الإسلام والعاقل المنصف يرى من ذلك تعداد أدِلة وكثير شواهد...

وسبحان ربنا اذ قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: 9].

احتواء حركة الحياة بالقوانين المنظّمة والتعاليم الكاملة

إنَّ الإسلام محتواه أكبر من العبادة ومعرفة الأحكام الشرعية بل تميز أيضاً بكونه نظام حياة، وليس هناك جانب إلّا مُسْتَوْعَبْ في أنظمة فريدة من القوانين الشرعية والتعليمات الحكيمة التي تنظم ذلك كله بأكمل صورة وأبدع اتزان.

***

وضوح الصورة في الشريعة، وكمال القدوة في شخص النبي ﷺ
ووفرة النماذج الفائقة من المسلمين على خط سير الزمان

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ:28].

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:107].

قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب: 21].

لقد كان رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ رسولاً ورحمةً للعالمين بعثه الله واجتباه فهو من البشر لكنه سيد البشر ومقامه عالي بما شاء الله وقَدَّر وهو عليه السلام خير من وطيء الثرى، وخير من أطاع الله كما أراد الله، كان خُلُقه القرآن وكلامه بيان وقلبه مليءٌ بالإيمان، أحلَمُ النَّاس وأجملهم، وأعلم الناس وأكرمهم، بلغ سدرة المنتهى وهو النبي المصطفى عليه أفضل الصلاة وأكرم السلام، وقد كان ﷺ معلماً وقدوة عملية، وأسوةً حسنةً فعلية لكل المسلمين، فنرى في سيرته العطرة كل جانب مشرق نستوحي منه الكمال الإنساني في الامتثال والطاعة والعبادة لله سبحانه وحُسنِ الخُلق مع عباده ونقاء السريرة وجمال العِشرة والبر والاحسان، فهو عليه السلام نور يستضاء بفعله في كل جميل، فمنه تعلمنا كيف نعبد الله سبحانه ونؤدي تعاليم الدين وكيف نكون بالشرع ملتزمين وبالحق عاملين وفي حياتنا وأمرنا على الصراط سائرين، وهو خير الأولين والآخرين وعليه أنزل القرآن فبلغه كما أُمر وبيَّن للناس أمر دينهم وشرع ربهم فأدى بذلك الرسالة بحفظ الله ورعايته، وليُعلَم أنَّه ليس إنسان منذ فجر الإنسانية تُدرس أحواله وحركاته وأقواله وحتى سكناته مثلما نفعل نحن المسلمين مع سيرة رسولنا الكريم فهو المبلِّغ الأمين عن رب العالمين ونحن بذلك مصدقين ولهدية ﷺ متبعين ولشفاعته راجين ولمرافقته في الجَنَّة برحمةٍ من الله مشتاقين...

***

بينهما برزخ

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ٥٣﴾ [الفرقان: 53].

الآن وبعد أن انتهينا بحمد الله من الجزء الأول، وهو: ما سبب اختيارنا للإِسلام، وبَيَّنا فيه باختصارٍ غير مخل وبشاهدٍ غير مُقِل كيف نميز الدين الحق عن غيره ونعرف الضابط الأمثل للأخذ به، وما هي المعتبرات والمقومات التي تجعلك تختار الإِسلام وتسلم نفسك بالحق إلى منهج خالقك وأمره ويستقر ذلك فيما بين جنبيك، فكان ما سبق باباً من أبواب التحضير العقلي والمحرك للبحث الواقعي والعلمي للازدياد في الثقة فيما بين يديك كمسلم وأن تحافظ عليه وتعلم ما أنت عليه، وليكون أيضاً حافزاً دعوياً منك لغيرك لتُعَلِّمه ما هو الحق وما هي الصورة النقية والقواعد والفوائد الجلية التي يحتويها الإِسلام، وليكون ما سبق أيضاً تعريفاً مختصراً لغير المسلم وباباً من أبواب الحث والدعوة والإشراق المعرفي له ليعرف طريق الهداية ومنهاج الحق.

وبعد هذا الخير وباب الاستنارة نذهب إلى الجزء الثاني وهو لماذا يعادون الإِسلام وسيكون أيضاً مختصراً واضحاً ليدرك منه عند من استقرت لديه قواعد الفهم والمكنونات عن الإِسلام وعلو أمره وكمال طرحه لماذا يعرضون عن هذا الحق، وما هي دوافعهم، ولماذا يُكِنّون العداء له، وماذا يستفيدون أو يَجنونَ بنظرهم من ذلك العداء وتِلكُم الهجمات التي تنال الإِسلام من عديد جوانب وكثير سبل ومحاور؛ فحينها سيملك بذلك القارئ المنصف بوعي عقله المستقيم وقلبه السليم ما هي دلائل الخير وسبب الإقبال، وما هي طرق العداء وأسبابه، فيعلم ما لهُ وما عليه، ولماذا هذا الواقع الحاصل قهراً على الإِسلام، ولماذا هذه الصورة المشوهة المفتعلة التي تخفي حقيقة الإِسلام وبروزه على الساحة وعظيم امره، وليعرف القارئ أيضاً جزءًا من حجم المعركة التي تقاد على الإِسلام والمسلمين وعظيم الخطر والافتراء الذي يكاد لهم في العلن والخفاء بالترغيب لبعض ضعفاء النفوس بتسخيرهم وبالترهيب لآخرين، ولكن

قبل الولوج والإبحار في هذا البحر المستعر من العداء للإسلام ولماذا يعادونه ارتأينا للضرورة بقدر ما قُدر لنا وبما فتح الله علينا أن نجيب على سؤال مهم قد يطرأ حال الانتهاء من الجزء الأول على بال القارئ وقبل الدخول للجزء الثاني ألا وهو لماذا لا تظهر تلك الكفاءة وذلك التطبيق على أرض الواقع؟ ولماذا لا نرى جماليات الإسلام وكمال تنظيمه ملموساً كما قيلَ عنه في الجزء الأول في واقع الناسُ والمجتمعات وحركة حياتهم؟

ولماذا لا نرى نور الإسلام قوياً بحق في بلاد المسلمين وهم يزعمون أنَّ عندهم مشعل الهداية للبشرية وطريق النجاة والصراط الأوفى والكفاية لإدارة عجلة الحياة كاملة؟

فكان لا بد أن نجيب عن هذه التساؤلات لندرك حقيقةً، ونفهم إدراكاً ملموساً وواقعياً تأثير ما سنبيِّنه في القادم والذي عمل على كتمان صوت الحق ودلائله وأخفى اشعاع تعاليمه من أن تصل وتنتشر كما يجب ان تكون وتحتل الصدارة بما ملَكَت من كمال المصدر والتعاليم، مع بيان العوارض التي تتأتى من ذلك العداء والتي أثرت حقيقة على بعض المسلمين أنفسهم – ونذكر ذلك من باب الانصاف – والذين تأثروا بما كيد للإسلام من عداء فأصبحوا أداةَ مساعدة في العداء من الداخل وأصبحوا يحملون الإسلام كإسم ولكن دواخلهم ليست كذلك وإن كان هذا ينطبق على قلةٍ قليلة ولكن تلك الشخصيات المسمومة تُحدث تأثيراً في الجسد على قِلتها لحدةِ سميتها، ولكن نحن مع ذلك نبقى على يقين بلغ الكمال في التصديق وارتباطٍ بالاعتقاد والإيمان أنَّه لن يذهبوا بالإسلام على الكلية ولن يصيبوا منه مقتلاً وإنَّما تلك عوارض ومع كونها ظاهرةً لكَنَّ نقاء الأصل بما كان من تعهد كريم من رب عظيم بحفظ المنهج والرسالة فأيقنا بذلك مع ما أدركنا وعلمنا من صحة أمرنا أنَّنا على الحق وأنَّ لنا التمكين وإنَّ العز لله ولرسوله وللدين وأهله...

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: 9].

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الصف:8].

إذاً وكما قلنا فلا بد لنا من هذا التوضيح والذي نبنيه على فهم الجزء الأول ومعرفة صلابة الأرض التي نقف عليها وأنَّ تلك الزوابع العمياء التي تريد هدم البنيان لن تعدو أن تختفي كما بدأت، لأن منشأها من العداء والافتراء وهي ليست أصيلة، وما خرج من باطل فلا بد ان يُمحق ويذهب معه ولا تُسطر له سطور في الخيرية ولا التأثير فهي دخيله وغازية وإن كانوا قد زرعوا بعض شجيرات الشبهات والافتراء في أرض الإسلام فنحن على يقين أنَّها ما تلبث أن تجف فتموت، فهذه الأرض المباركة تلفُظ ولا تقبل مثل ذلك الزرع الهالك نوعاً والضار ثمراً، فيا أخي الكريم فإني أرجو منك وأنتَ تنتقل بين السطور أن تملئ قلبك بالإسلام وتعرف ما أنت عليه وتتوسع في معرفة مجالاته، وعلو جمالاته، وسموق أركانه، ودرجة أعلامه، وما إبرازُنا لطرف معاداتهم إلّا لتعرف ما هو الخطر وكيف طمسوا الهوية وأغلقوا أبواب الدعوة للمنهج ليصلَ للعالم، فاتضاح الرؤية لما بين يديك وإيضاحها بما يكاد عليك يعطيك اكتمالاً للصورة ويزيدك ثباتاً وتحصناً للدفاع عما عندك ولتدفع عدوك وتصلح شأنك ولتحمي نشأك وتحمي مجتمعك وكل ذلك إنَّما هو نصرةٌ لدين الله ولرفع راية الحق كما ينبغي لها أن تكون، فأعِدَّ نفسك واتَّبع خطى الحق وطريق الصراط لتسود شريعة الخالق ولتستضيء البشرية بنور الهداية والفلاح ولتبعد تلك الصورة المكذوبة ولتزيح تلك الغشاوة عن أعين الناس فتكون بذلك مجاهداً مدافعاً ومسلماً داعياً.

فأمّا الجواب على مشترك التساؤلات بلماذا لا نرى كمال ما ذُكر في جزئنا الأول – وهي من أسباب اختيارنا للإسلام بتوفيقٍ منه وهداية – ووجوب ظهورها ظهوراً يوافق تلك القدرة في العطاء والحاجة إليه كمنهج ينظم حركة الحياة على الصورة والوجه الأمثل، فإن الإجابة من شقين، أمّا الأول فهو أثر الجزء الثاني المتمثل بالعداء وتوابع أعراضه وملحقاته على الإسلام والذي حاد بالناس عن كمال الالتزام بالنسبة

للمسلمين من إعمالِ التطبيق كاملاً في حياتهم، وبما وضَع سداً للتعرف عليه والدعوة إليه لغير المسلمين، وبما شوش المفاهيم ولوث الجو العام وأوجد تلك الصورة القاتمة التي تدل على سواد غاياتهم وفساد قلوبهم، وسَيُعلم بإذن الله سبحانه في قابل ما يأتي وسنتعرف عليه بوضوح ظاهر في سطور التعرف عليهم وآليات عملهم وما هي أهدافهم وغايات أفعالهم وسبل ذلك العداء وبعض أدواته وذلك في جزئنا الثاني، وأمّا الشق الثاني لإجابتنا فهو ما كان في ضعف التطبيق والأخذ الكامل عن الإسلام من قبل المسلمين أنفسهم؛ وهذا إمّا ضعفاً لحجم العداء ولقوة التيار المعاكس داخل المجتمعات الإسلامية والتي تعارض ذلك التطبيق وتحاول أن تسحب الأفراد إلى محيط فهمها البعيد عن الشريعة والمنهج الشرعي فتغرقها في دوامة الحيرة والمتشابهات والشبهات، وأيضاً هناك ضعف الأفراد أنفسهم في الالتزام وعلو الإخلاص والبعد عن تحكيم الشريعة في حركة حياتهم بالوجه الصحيح فالشريعة الإسلامية منهج حياة واقعية ولا بد أن يكون حركةً واقعية لنيل المراد وايجاد الناتج وأن يكون الإسلام هو النور الأوحد الذي يستضاء منه الطريق الذي يُسْلَك حركةً وإيماناً وعقيدةً وفي كل شأن.

ولا بد لنا أن نختم بتفاؤل حقَّ له أن يكون فهو صدق مأمول وواقع لا محالة، وهو أنَّ العِزَّ والتمكين والنصرة للإسلام والمسلمين، وأنَّ راية الحق سامقةً مرفوعة، وسيولي الأعداء وسينهزمون والنصر آت وهو أصلاً لم يغادر أرض الإسلام وقلوب أتباعه إنَّما هي فترة كسوف أضعفت رؤية الإسلام ولكنها لم تبدده او تخفيه فالصحوة واضحة والشواهد عديدة، وقد انتفضت القلوب المؤمنة بفطرتها النقية وتريد الحق ظاهراً وواقعاً فطعم الإيمان لا يذهب وإن ذقنا مراره الغربة فلا بُدَّ لنا من العودة وهي صحوة بادئة مستمرةٌ لا تفتر، فبراعم أطفالنا حتى جهود علماءنا كلها تشترك في إعادة المجد لأهله ولتطبيق شرعه، وسبحانه فهو لا يخلف وعده...

خلاصة:

إقبال المجتمع وتمسكه بالشريعة الإِسلامية وحدها دون سواها من الشرائع البشرية الوضعية مع تَمَلُّك السلطة والنفوذ الذي يفرض هذا وينفذه لهو القدرة على تطبيق المنهج والعمل به كاملاً على وجهه الأمثل مع اعتماد العلم الشرعي عن الأصول بفهم السلف الأول قاعدةً في الأخذ والاعتبار...

***

الجزء الثاني

مِلحٌ أُجاج

لماذا يعادون الإِسلام

لماذا يعادون الإِسلام؟

قد يكون غريباً هذا التساؤل وهذا الطرح، وهذا ليس منا استجلاباً للعداوة أو ادعاءً غير مبرر؛ لكنه من واقع نَحُسُ به ونرى أثره في حياتنا ومحيط مجتمعنا وفضاء عالمنا، فأصبح من الضرورة المُلحة أن نقف على ما هم عليه من يعادون الإِسلام لنعرف ما يواجهنا، فبتلك المعرفة وذلك التوضيح وبتشخيص هذا الطرف المقابل الذي اختار جانب العداء لهذا المنهج العلوي ولماذا تكتل مع أقرانه وشن هجماته ضارباً بأسلحته وامكانياته سور الدين واعتدى على المسلمين فإنَّنا بذلك المجهود في تحصيل المعرفة عنه وبدراسة تلك الأعراض التي أصابتنا منه نستطيع ان نُشَخِّصَ المرض الذي أصاب الأمة الإِسلامية فأوهن أمرها وعمل على إضعافها من جراء التمادي عليها وبث الحملات من الهجمات تلو الحملات على أرض الإِسلام وعلى مستودع أصوله وأحكامه وتشريعاته وحتى على رموزه.

وإِنَّنا لا نريد فيما سنبحث فيه ان نكون في موقف المدافع والباحث عن مبرر ومفنداً للشبهات الملقاة والمغالطات المزروعة في أفكار البعض فليس هذا قصدنا في أمرنا، بل جُل اهتمامنا سينصب على تحليل تلك الشخصية العدائية، وعلى أي أرض فكرية واعتقادية تقوم، ولماذا تفعل ذلك، وما هي أهدافها التي تطمع أن تتحصل عليها جراء ذلك العداء.

وسيكون كلامنا في ذلك على شكل نقاطٍ مختصرة، كلاً منها يتناول جانباً وفئة من هؤلاء فنعمل على تشريحها تشريحاً نستنبط منه ماذا نحن نقابل من عقول وأدوات تحركت لنصب العداء، وإن كانت كلها أو معظمها تتشارك في نفس الغاية وهي تقويض الإِسلام إِلّا أنَّها اتخذت أسلوب التنوع والتشكل في العداء والتدرج في الكيفية وكلٌ حسب ما ملك من أدوات وما عنده من أجندات فتناول بجهده وتركيزه جانباً ليعمل به اختراقاً يبث منه سمومه ويُفَّعل مُراد تأثيره، وكما قلنا فمع الاشتراك العام في العداء للتأثير على الإِسلام تأثيراً يقوض أمره ويحصر فعاليته أو يشوه صورته للوصول

للمآرب والنتائج المرجوة والتي سنعرضها مع كل طرف منهم إلّا أنَّهم قد يَظهرون أحياناً بطرف يلبس قناع الإصلاح أو التحديث أو غير ذلك، فالغطاء الذي يعملون تحته مختلف متباين إلّا أن الغايات السوداء واحدة وطرق العداء المستحدثة والتي جعلت الأسلحة المادية ثانوية واستخدمت ما هو أعظم خطراً وأكثر تأثيراً من خلال الأسلحة المعنوية والعقلية وغير ذلك مما أبدعوا في تشكيله ليناسب جو المعركة التي شنوها من طرفهم وإن كانوا لم يعلنوها للملأ في كثير أمرهم إلّا أنَّ الظاهر والواقع يثبت ذلك ويؤكده.

وإنَّنا إذ نخوض غمار هذه الدراسة التشريحية والتي قد نضطر أحياناً أن نفتش فيها خلف خطوط العدو لنعرفه عن كثب ونعرف مكنوناته وعلى ماذا أقام هجماته فيتأتى لنا بذلك العلم ادراكاً مناعياً وتحصيناً معنوياً وقدراتٍ نقدية لنتعامل عمن هو يقف ضدنا واختار عداءنا، فعداءه للإسلام هو عداءٌ ملازم للمسلمين؛ فالإسلام منهج وحياةُ أتباعه والمس به أو التعرض له هو التعرض لأتباعه فهو شريان الحياة وصلة الوجود ونبض الحقيقة والإيمان لهم، وكما أنَّه قد استقر لنا وأقر به غيرنا عن سبب اختيارنا للإسلام، فالجزء الأول هو داحض لكل افتراءاتهم وأضغاث أحلامهم وتُرهاتهم من الأكاذيب والاختلافات وقد بيَّنت الآيات الكريمات والأحاديث وردود العلماء من المسلمين خارج هذا الكتاب حقيقة أمرهم وكشفت غطائهم فعرتهم على حقيقتهم وهدمت أساس ادعاءاتهم منذ البِدء وكشفت زيغهم فلا داعي لإدخال حرارة المعركة التي شنوها نتيجة عداءهم إلى عقر دارنا وفحوى كتابنا، وإن كانت هذه المعارك الادعائية قد أخذت صورة جديدة في بعض اشكالها بطابع حديث ونسق في الهجوم واسع إلّا أنَّها ذات مشترك واحد وهو الاعتراض ورفض المنهج الإلهي والتشارك مع الشيطان في الكيدية وإنَّ هذا الجحود والإنكار لمردود عليهم منذ إنكار سيدهم الأول، أمّا تلك الصور المستحدثة في عصرنا الحالي فقد تصدى لها أفذاذ العقول والعلماء منافحين عن الدين وصادين تلك الموجات والهجمات بصدورهم المملوءة ايماناً ويقيناً

وعلماً فتكسرت تلك الأمواج وخابت تلك الهجمات عندما اصطدمت بأرض الأصول وصلابة الحق وجبال اليقين، فلذلك نكرر انَّنا هنا نريد بيان من هم ولماذا يعادون الإِسلام وماذا يستفيدون من عدائهم وليس التبرير والمناظرة لصد شبهاتهم واختلاقاتهم الكاذبة التي دسوها فأشغلونا بها، فهذه لها من تصدى لها واطفأ نيرانهم الباردة وهدم هيكلهم على رؤوسهم بنور الحق وبدلائل الصدق فظلامهم الذي ينشرونه ليطمسوا رؤية الإِسلام هو من سواد قلوبهم وفساد عقولهم فأنى يؤفكون ...

وسنتناول هنا الموضوع كنقاط مختصرة ننظر فيها وندرك ذلك الطرف الذي مال إلى جانب العداء على حساب الحق وإن كان يعتقد البعض منهم بأنَّه على صواب وذلك بما زينت لهم أنفسهم بوحي شياطينهم انَّهم على الحق، أو من كان منهم تائهاً فأحاط نفسه بهالةٍ من المتناقضات وتمسك بها ليستقر، وما وجد ذلك الاستقرار ولا حلت عليه الطمأنينة، ومنهم من انساق لأفكارِ غيره مقلداً أعمى اتخذ شمس المادية هي المقياس والنور الذي ينظر به ولم يعلم أو علم فتغافل أنَّه قد فقد بصيرته جهلاً منه وتبعيةً لمنفعته، ومنهم من باع نفسه لأجندةٍ فصار أداة يحركها سيده حيث يشاء ثم ما يلبث أن يلقيها حينما تنكشف أو تنكسر، وهناك من نصب العداء لغياب مصلحته التي يتأملها أو كان قائماً عليها، وهناك من اتخذ العلم مرجعاً وحكماً على الأمور؛ فالتجربة عنده هي الأصول وما يتوافق مع العلم لديه هو المقياس، وهناك من حمل لواء العداوة للإِسلام كامتداد لصراع قديمٍ بين الحضارات بتجنيد النفس كجندي من أتباع الحملات والأفكار الصليبية المدحورة قديماً، وغير ذلك وغيره.

وفي طيات صفحاتنا القادمة إن شاء الله تعالى وبتوفيق منه وسداد، سنتناول بعضاً من هؤلاء، واضعيهم على طاولة التشريح ناظرين لحالهم، محللين مآربهم، دراسين أفكارهم وآمالهم، راجين بذلك أن يعلم القارئ بعد أن يرى العديد من اختلافات الصور عنهم ذلك الرابط بينهم وما يتعرض له الإِسلام والمسلمين من مقاصد منهم، فإِن كان القارئ مسلماً فبما عنده من يقين فسيعلم ما يواجه فيستعد ويُعِدّ، وإن كان غير

مسلم فنطلب منه أن يَنظُر بقلبه وإنصافَ عقله وعدل حُكمه، فَيعلَم مما ذكرنا سابقاً في جزئنا الأول وما سيأتي في الجزء الثاني، ما هي الحقيقة، وما هي الدوافع، وما يحدث من استشكالات حاصلة، ومن تلويث لجو الإسلام العام، وتلك الصور الكاذبة الملفَقة على الإسلام، وهنا إمّا يكون صادقاً منصفاً فيكون بإتباعه وعلمه من أهل اليمين أو أن يبقى مع من اختار العداءَ وأصحابه وحينئذ فلهم بما عملته أيديهم وكادت عقولهم جزاءٌ ووعيد وعقابٌ شديد، ولسوف يعلمون وبعدل الله سيحاسبون وحينها لا ينفع الندم ولا ما كانوا به يعتقدون...

***

الشيطان والعداء الأول

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: 50].

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء: 53].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾ [يس: 62].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر:6].

إنَّ أول عداء ظهر لآدم عليه السلام وبنيه هو عداء الشيطان له وكيده لهم من بعده وإنَّنا بإمعان النظر في شخصية إبليس – وهو نفسه الشيطان – لرأينا في شخصيته ملامحاً وأفكاراً هي مشتركٌ مع أعوانه وذريته ومن ملك نزعةً شيطانية من بني آدم، فالحقد والحسد والتكبر على منهج الحق هي مشتركات العداء وقاسم مشترك في شخوص من أكنَّ العداء للمنهج العلوي ورفَضَ إتِّباعه، بدايةً من رفض إبليس بعدما اعتلى بعقله القاصر علواً زائفاً بالكبر على من خلق الله سبحانه بيده ونفخ فيه من روحه بأن عصى الأمر بالسجود التكريمي لآدم عليه السلام واعترض عليه فكانت تلك المعصية سبباً في طرده من رحمة الله، وعليه فكل من سلك طريق ابليس فهو أيضاً مُعاندٌ للحق متكبر عليه داخل معه في الطرد من الرحمة سالكاً بفعله طريق الضلال والبعد، وإنَّنا لو نظرنا بتمعن مما أُعلمنا في أصولنا لعَلِمنا أن تحرك الحقد والحسد تَوَلَّدَ في ابليس بين جنباته قبل نفخ الروح في ادم، فتَوَعَّدهُ لَمّا جالت تلك الخواطر فأعملَ وقدَّمَ كِبرَ نفسه وضلال حُكمه على الخيرية التي كان فيها وعلو المنزلة فآثر العداء والخروج من العطاء بأن قدم نفسه وجعلها المقياس في المفاضلة، وهذا هو منهج جميع الخاسرين الذين يعتمدون الرؤية من عين الذات معارضين التسليم للأعلى سبحانه وفق ما أمر وأقر لعباده؛ فإن

تلك الذات الناقصة لا تصل لعلو الدرجة والاكتمال دوناً عن المنهج العلوي فارتباطها به ارتباطٌ بالخيرية والعلو، وإنَّ العزوف عن التسليم للأمر العلوي لهو الارتباط بالدونية والاتكال على الهوى في القياس، وهذا الأمر في النهج ليس قسرياً بل هو اختيار منهم وعليه يُقَيَّمُ الاختبار، وإنَّه من رَحمةِ العزيز الغفار فدلائل الحق والحث عليه واضحة جلية وظاهرة نقية، فالإنسان أو المكلف ممن حمل عقلاً يدرك به هو مسؤول وواقع عليه التكليف ومنظور فيما سَيُعْمِلُ أَمره، وأيَّ جانبٍ سيختار بعد البلاغ وكثير البينات والدلائل والدعوة التي وصلته، فهل سيخلو إلى نفسه ويجعلها حكماً أم سيسلم نفسه لباريها ويطيع أوامر ربه، وهذا هو مضمون الاختبار بتحكيم الهوى أم باعتماد الأمر العلوي وعلى ذلك سيحاسب.

وإنَّنا بدراستنا لشخصية ابليس وشخوص أتباعه من بني جنسه ومن البشر الذين يحملون نزعةً تميل إلى عمله وفِكره، لرأينا تلك المشتركات بينهم في مسألة العداء لمنهج الحق ومن كانوا عليه، ومن ذلك:

* إنَّ الشيطان أكنَّ الحقد والحسد لآدم عليه السلام وتوعَّد بنيه ممن كانوا على المنهج الحق، وكذلك فَعلَ أتباعه على امتداد الزمان من محاربة الدين العلوي الأوحد وهو الإسلام دين العالمين ومنهاج الحق وحاربوا معه أتباعه...

* إنَّ الشيطان آثر نفسه وكِبْرَ حاله على إتباع الحق وكذلك فعل أهل العداء فَهُم يخدمون الباطل وتعاليم سيدهم ومصالحهم المؤقتة كبراً وتقديماً لأنفسهم على الحق.

* إنَّ الشيطان وقصته مع آدم عليه السلام عبره وتحذير لآدم وذريته من بعده بأنَّ الشيطان وأتباعه هم العدو الأول ووجب الحذر منهم، فكما أن للحق أتباعاً فإن للباطل أعواناً يقومون عليه، فالشيطان ومن على طريقته رفضوا الخير لأنفسهم برفضهم الحق فكيف يريدونه لنا او يدلونا عليه فلا نغتر بخدائعهم فنسقط في حبائلهم، فسيدهم قد علم الحق ورأى المنزلة لكنه تكبر وعاند فَطُرِدَ من الرحمة ونزعت المكانة وكذلك هم أعداء الدين يعلمون الحق ويكابرون.

خلاصة:

الشيطان عدوٌ للحق وعدو لأتباعه وكذلك حال اتباعه فلا نغتر بما قد يزينون لينالوا مرادهم فلو كانوا على خير لاتبعوا الحق لكنهم على باطل ويعادون الحق وليس هناك إِلّا منهج للحق واحد، فمن كان معه مُسَلِماً مستسلماً لربه فهو من المؤمنين ومن عاند وتكبر وعادى فهو من الضآلين ومن أتباع الشياطين...

***

مُداخلة

وددت أن أضيف أمراً وإن كان ضمنياً موجوداً في محتوى ما سيأتي وبين طياته إلّا أنَّه جال في خاطري الآن بحرقة فأردت أن أُلقيه عن كاهلي لأهميته وكونِهِ قاعدةً وجب ان تُفهم قبل الحديث وفي خلاله.

وذلك بأنَّ الإِسلام ليس جاذباً للعداوة من طرفه أو ذاته، بل على العكس تماماً هو جاذب ومُفعِّل ومرشد للاستقرار والمحبة والاتجاه الراقي والعلو الإنساني في كل اتجاه وهذا ليس زيادة من عندي بل هو واقع ملموس سطرته تلك السيرة العطرة لتعاليم ونسق الإِسلام في حياة أفراده وسلوكيات أتباعه وعظيم تراثه على امتداد الزمان، فالسيرةُ العملية للإِسلام أرقى وأكمل وأوسع من أن تُخط في سطور أو توصف بكلمات فهي نبعٌ متدفق من الرقي الإنساني والعلو الإيماني والانتظام الفريد في حركة الحياة وفهم مضمونها وإدراك غاية الوجود فيها إدراكاً موجهاً لتحقيق الغاية المثلى بشكلٍ متزن روحياً، وجسدياً من الجوارح، وإعطاء الواقع والماضي والمستقبل الصورة الجلية له في ضوء تعاليم وإرشادات علوية كاملة في العطاء الوصفي والكمال الجمالي والاتزان الارشادي والكفاية الذاتية، وإِنَّ الإِسلام معهود فيه ذلك طالما كان المحور الرئيسي والطريق الذي يسير عليه المجتمع وذلك واضح بائن ومشهود له من القاصي والداني ومسطر في مراجع ومتون يعجز المتمكن السريع عن تعدادها دوناً على أن يستوعب جمالاتها في عهده الأول وما تلاه من عهود لازمت الصدر الأول واستقت من النبع الأصيل، وما تلك الغربة وذلك التشويه لتلك السيرة الناصعة إلّا بعدما حيد عن مثالية التطبيق وإعماله كما ينبغي أن يكون، فكما أنَّ العلم ميتٌ يحيى بتعليمه وتدارسه وتدريسه، فالمنهج الإِسلامي أصل محفوظ وعلم دافق يتحصل المرء على خيريته بإعماله وتطبيقه وفقَ مرادِ موجده سبحانه وعلى سنةِ نبيه الكريم وأوائل من تلمس النقاء سمعاً وطاعةً وعملاً، ولذلك فليُعْلَمْ أنَّ العداء سهام من طرف واحد وهو طرف المعتدي على الإِسلام وأظن الأصح أن يسمى اعتداءً، فطالما كان الإِسلام نوراً للبشرية ومشكاةً

للخيرية ولكنَّ تلك النفوس التي اختارت بأعمالها الشر والكِبر وجعلت سيدها ابليس ومن كان على فِكره فمنعت أو حاولت منع ذلك الجمال وذلك الضياء من أن يشرق على العالم بنور الهداية وحالهم كأنَّهم حملوا هَمَّ إبليس الأول بمعاداةِ الحق وأهله وأَبَوا إلّا أن يسود الظلام بعداءهم وما مَكَرتهُ أنفسهم، وهم ليسوا لأمرهم بمنجزين وسيعجزون كما هو عاجز سيدهم وذلك وعدٌ من الله سبحانه وأمراً منه وإنَّ الجبار تعالى سبحانه لجامعهم وقائدهم في مكان واحد فحينها سيعلمون أن لو كانوا للحق متبعين وعلى الهدى سائرين ما كانوا مع صاحبهم في سواء الجحيم..

ولكل أجل كتاب وسوف يعلمون...

***

العداء في بداية الوحي وصَدِّهم الدعوة

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [فصلت:26].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾ [البقرة: 6 – 7].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾ [البقرة:170].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨﴾ [النساء:168].

قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣﴾ [الزخرف:3].

عندما اصطفى الله سبحانه وتعالى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لحمل وتبليغ رسالة الإسلام للعالمين كان عليه السلام في مكة وهي ابتداء الوحي مكاناً ودعوةً، وعندما بدأ الرسول يبلغ دعوة ربه يدل بها الناس على المنهج الحق والدين الخاتم لقي من البعض وأَوَّلهم من كان في محيطه من أهل مكة من قريش وبعد ذلك من يهود في المدينة معارضةً وعداءً لما يقوم به. ذلك العداء الذي يشتد حيناً بأقسى التطاول على الشخص النبوي عليه السلام بالتكذيب وبادعاءات الافتراء واعطاء صورة غير صحيحة عن دعوته وحتى بالتعرض لجنابة الكريم جسدياً بالأذى وعلى من كان معه من أوائل من آمن واتبع الإسلام، وقد يأخذ عداءهم صورة الترغيب أحياناً للحيد عن المراد والتخلي عن الدعوة، وإنَّ هؤلاء الذين أكنّوا العداء للرسول عليه الصلاة والسلام هم في أصلهم أكنوا العداء للرسالة والمنهج الذي يدعو إليه وذلك لمّا علموا

وايقنت نفوسهم أنَّ هذه الحالة الجديدة عليهم هي تعارض أكيد –بنظرهم– مع مصلحتهم القائمين عليها، فالدين عندهم كان موجوداً لكن الادخالات الشركية والضلالات البدعية أخذته عن المنحى الأصيل له الموافق للوحدانية، وكان هذا الحال عندهم في هيئته المشوبة تلك يناسب ما هم عليه من تحقيق المآرب والذهاب به حيث يصب في مصلحتهم المنفعية وأنهم لمَّا تيقنوا في قرارة أنفسهم بأنَّ هذا التوحيد وهذا الدين الجديد هو هدمٌ لِما هم عليه من سُلطة دينية مُستغَلة استغلالاً دنيوياً لمصلحتهم ومقياساً معتبر في البروز والعلو في المجتمع القبلي ومنافسة الجاه، وهو أيضاً ذهاب لمصالحهم التجارية والمنافع المترتبة على المكان والمواسم الزمنية التي هم قائمين عليها وتُدر عليهم سيلاً من الأموال وعلواً في المكانة الاجتماعية في مكة وخارجها بين القبائل ومن يأتي اليهم للزيارة والتعبد أو التجارة، فكان إمعانهم فكرهم بفهم المادة والمصلحة النفعية وحظ النفس دوناً عن الحق وكمال الغاية قد رأوا فيه بقلوبهم العمياء والبعيدة عن النقاء الفطري والتوحيد التعبدي أنَّ الإسلام هو تجريدٌ لهم من مكانتهم الاجتماعية والقبلية وضياعاً للسيادة والحكم الذي يتوارثونه، وأيضاً توقيفٌ ومنعٌ لبعض السلوكيات الشهوانية والملذات التي تتعارض مع هذا الجديد الذي يُنظِّمُ حركة الحياة الاجتماعية وفق منظورٍ قائم على العدالة والتكريم والمساواة ورقي الأخلاق ومعالي الأمور والقياس على ميزان التقوى وليس المكانة القبلية أو درجة التملك للمقدرات المادية، وإنَّهم وإن كانوا في كثير من نواحي شخصياتهم أصحاب مكارم وشجاعة ورجاحة عقل إلّا أنَّ العلو جحوداً وإنكاراً، وكبراً على الايمان ممن رفض الإسلام أدى بهم إلى ما أدى من عزوفٍ عن القبول والتسليم للمنهج وهذا لهو حال كل من قاس الأمر على قدر نفسه وإعمال عقله بلا تشريع علوي أو فَهمٍ عن المُشَّرِع، وإنَّنا لو نظرنا لهؤلاء وهم من أول من نَصب العداء للدعوة الإسلامية لوجدنا ذلك المشترك بينهم وبين من انحازَ لجانب العداء بدلاً من التسليم للحق وإتِّباعه وذلك المشترك واضح متماثل وإن كان الآن على صورة أعلى من الحدة أو التشعب إلّا أنَّ بعض الفهم بينهم

واحد، ونرى من ذلك فيمن أنكر الحق جحوداً وتكبراً، ونراهُ في العداء خوفاً من سحب بساط النفوذ والتحكم في مقدرات الغير، وأيضاً نعاينهُ فيمن وضع الشبهات وأوجد المفتريات لتحقيق مآربه والطعن في الإِسلام، فملةُ العداء واحدة قائمةٌ على الكذب والتكذيب على الدين واختلاق ما ليس له أصل إِلّا في عقول مختلقيه وأخلاقهم.

وهناك أمرٌ ملاحظ فيمن تَصدَّر العداء أول الإِسلام وذلك بأنَّهم ملكوا العقل والكفاءة التي يقدرون من خلالها أن يروا أنَّهم على باطل لكن ومع ذلك فعنادهم الأعمى وتقديم حالهم منعهم عن سلوك طريق الهدى وركوب سفينة النجاة، وهذا مما نجده في عصرنا هذا فكثيرٌ من أشباه هؤلاء بثوبهم العصري وتقدمهم العلمي يعلم بما احتك بالإِسلام علماً وأحوالاً أنَّه الدينُ الحق ولكنه يأبى لِكبر نفسه ولاتخاذه هواهُ إلهً يقوده، فصار إلى ما صار عليه، ومثالُ ذلك قديماً وحديثاً تراهُ في عداء يهود للإِسلام والمسلمين، وشبيههُ الواضح الحي الآن تجده في أتباع يهود وفيمن جعل نفسه أداةً للكذب والطعن في الدين من المبشرين والمشككين فيهود ومن كان من أهل الكتاب كان علماءهم على يقين بصحة الإِسلام وأنَّه الحق وخاتم الوحي والرسالات لكنهم كَذَّبوا على أنفسهم قبل أن يكذبوا على أَتباعهم ويُكَذِّبوا الإِسلام، ونرى ذلك الآن بعد هذه القرون الطوال في سيرتهم أنَّهم بقوا على ما بقي عليه أجدادهم الأولون في التكذيب، والإِنكار، والاغلاق على الناس بدائرةٍ من الكراهية والافتراء وضعوها حول الإِسلام لأَلّا يُدرك عاقل من أبناءهم وأَتباعهم حقيقة الإِسلام، ومع ذلك فباب الحق مفتوح وشمسه ساطعة لا يقدِرون على إغلاقها، ولا اخفاء إِشعاعها وضياء تشريعها ومنهاجها، وترى كثيراً ممن عرفَ الإِسلام منهم قد ترك ما كان عليه والتحق بركب الايمان وتوحيد الرحمن فرأى في دنياه قبل ذهابه طعم الجنان.

وهناك أمر لا بد أن ننوه عليه، فحين النظر في سيرة بعض المتأخرين ممن نصبوا العداء فكأنك ترى اجتراراً للشبهات القديمة والافتراءات الهالكة والتي دُحضت في

زمانها وهلكت مع أصحابها، ومن هؤلاء المجترين بعض المستشرقين الذين أخذوا بعض القديم والمطروح سلفاً لِعُقمه فأعادوا زراعته بصيغة جديدة ورونق حديث يحاكي الفهم المتقطع لمن يستقبلون هكذا لوثات ليبنوا عليها هجماتهم الفكرية، وإن العجاب في حال هؤلاء وأمثالهم أنَّهم أصحاب رِمَمْ لا يهبطون إلّا على خبائث المنكرات والكذبات فَيَتلقفونَها ويضيفونها لما عندهم من المفتريات، وتركوا تلك المناهج والطيبات من التعاليم والمثاليات، وكأنهم بحالهم تلك مثل أدنى الحيوانات لا يحبون إلّا أن يرتعوا في القذارات، ولو أنَّهم كانوا على عدلٍ وانصاف وجميل نقاء لَبَيَّنوا تلك الجمالات ولمالوا الى الحق متبعين ففازوا ولغيرهم أفادوا، لكن ماذا تقول لأهلِ العناد والإنكار ولتلاميذ إبليس وأعوانه.

وخُلاصةً نقول:

فبما علمنا من كلام ربنا العظيم ومن سيرة نبينا الكريم أنَّ شمس الحق والإِسلام حينما أشرقت على العالم أبى كثير إلّا أن يغلقوا أعينهم وقلوبهم عن رؤية الحق وإتباعه خللاً من أنفسهم ومقياساً ضالاً اعتمدوا عليه، ولو أَنَّهم أمعنوا بنقاء فطرتهم وإنصاف عقولهم، وبالخيرية المُتَحَصِّلة والكرامة المأمولة من علو الغاية لاتبعوا الحق فنالوا به خيري الدنيا والآخرة، لكنهم كما أخبر ربنا قوم لا يفقهون ولا يعقلون، وإِنَّهم بتلك الطريق الشيطانية التي سلكوها سار معهم عليها كل من أَكَنَّ العداء للإِسلام وأهله، وبذلك اختاروا الظلمة على النور، والعداء على التسليم، والكفر على الإيمان، فكانوا بذلك من فريق السعير...

***

المستشرقون

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام:112].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [آل عمران: 70].

قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف:146].

الاستشراق اختصاراً لتعريفه: هو حركةٌ علمية، أو نشاطٌ دراسي جمعي يتعلق بالشرق من قبل غير المسلمين عموماً، وقد كان أوج نشاطه في القرن الثامن والتاسع عشر ميلادي وكانت وجهته مُركزة على المَشرِق العربي وغيره من البلاد الغير الإِسلامية مثل الصين والهند وأفريقيا ولكن بتركيز أقل.

وأمرنا هنا متعلق بحالهِ مع البلاد الإِسلامية والإِسلام تحديداً فهو المراد من فهمنا لذراع العداء تلك.

وإِنَّ الاستشراق في حقيقته كشخص متعدد الأوجه ومصاب بالانفصام في الغاية والسلوك، وقد كان في أعظم نشاطاته وتعداد حجم أفراده بعد خروج أوروبا من الحِجر العقلي والعلمي الذي كان فيه إبان العصور الحالكة عندهم والتي كان خلالها المشرق الإِسلامي منارة الضياء الحضاري ونور التقدم الثقافي والعلمي على كثير أوجه، ولكن إنَّ الذي كان سائداً آنذاك بالمفهوم الضمني لدي مسيحي الغرب وجود صراع قائم يتربص فيه كل طرف بالآخر بين الحضارتين الإِسلامية والمسيحية ويحاول فيها كلٌ منهم استئصال الآخر؛ وفهمهم ذلك عائدٌ لترسبات الحروب الصليبية وما يغذي

عقولهم من أفكار نابعة من رجال ساستهم ودينهم، ولهذا كان في نظرتهم للإِسلام تلك النظرة العدائية والخوف المحتمل، وكان هذا حانقاً أولياً عندهم لدراسة عدوهم المحتمل في مجمل أهداف تعددت وأشكال من المطامع تبلورت بعد اختلاف السياسة في التعامل مع الشرق في وقت ليس عن ذلك ببعيد، وهنا زحفت العقول والهيئات وكل حامل لهدف يود تحقيقه إلى الشرق لدراسته وتشريح حالته ومعرفة أصوله وتفرعاته وأحواله الاجتماعية والقيميَّة ولغاته وتراثه وأرضية أفكاره التي يقوم عليها أبناءه وعناصر قوته ونقاط ضعفه وأي شيء متعلق به مكاناً أو زماناً، وبذلك بدأت دراسة الشرق والإِسلام خاصةً بجهد دؤوب وتجهيز عالي، وكلٌ يسير من هؤلاء المستشرقون على نمط يتعلق بهدفه الذي يريد تحقيقه أو ما وُكِّلَ إِليه فأمّا من كان من الطرف التبشيري للكنيسة فقد كان له جوانب ركز عليها دوناً عن غيرها بما يكون فيه ما يقضي مصلحته في أداء غايته، وأمّا من أراد دراسة المكان والموارد وعناصر القوة والضعف فكان أداةً لمن كان له مطامع في خيرات ومقدرات الشرق، وأمَّا من كان هدفه علمياً بحتاً فقد جمع كل تراث يفيده في نشر علوم أو ما يفيد في زيادة ما عنده، وأمَّا ما كان نابعاً لتحقيق مصلحة ومطامع سياسية وأبعاد مستقبلية في استغلال الشرق لتحقيق مآربه وفرض السيطرة عليه فتناول كل جانب يفيد أمره ويقوي شوكته في قابل ما سيفعل أو ما بدأ به فعلاً.

إذاً فَجُل الدوافع للاستشراق نستطيع ان نُجملها في خمسة أهداف وهي: دينية أو تبشيرية، وسياسية، واستعمارية، واقتصادية، وعلمية، وهذه الدوافع وإن كان هناك غيرها لكن هذه أوسعها حجماً وأقواها تجهيزاً وتبنياً من أصحاب القرار السياسي والمراكز العلمية الناشئة آنذاك والسلطات الدينية والسيادية السائدة في الغرب والداعم لها.

وسنتناول كل هدف او دافع على حده، لنعرف من خلاله ما هم هؤلاء المستشرقين وعلى أي نهج يسيرون وما هي أطماعهم وآمالهم وماذا يريدون، ولنبدأ بأولها وهو

أَخطرها علينا وهو الهدف الديني، وكما قلنا فنظرة المخاصمة والعدائية المتوارثة على الإِسلام كانت سائدة لدى أتباع الكنيسة والقائمين عليها من رجالات دين وأصحاب السلطة ذوي القاعدة الدينية، فكان من هؤلاء أَنْ أَرسلوا رجالاتهم على هيئة علماء وباحثين وحتى كمبشرين من رجال الدين ليدرسوا الإِسلام عن كَثب ليتعرفوا على لُغته، وقواعده، وأصوله، وسلوكيات أتباعه الدينية.

وكان أمرهم على اتجاهين الاتجاه التبشيري واستغلال حال الاضطراب التي بدأت تصيب الدول الإِسلامية بعدما أخذت حالة التنازع والضعف تدب فيها، فأخذوا بنشر معتقداتهم وبث أفكارهم وفي نفس الوقت ليغترفوا ما يستطيعون من التراث الإِسلامي والعلوم الإِسلامية وأيَّا متعلق به بغض النظر عن صحته أو نسبته للدين وذلك ما يستطيعون به ظناً من عند أنفسهم ما يصلح ليطعنوا به في ذات الإِسلام نفسه وليقوموا على إضعافه وتشكيك أتباعه بما بين ايديهم وما هم عليه فيجعلوا هذا الشك وذلك الطعن مدخلاً في تبشيرهم والنيل من دينهم، ولذلك فهذه الفئة من المستشرقين ما هم إِلّا معاول هدم في البناء الإِسلامي؛ اعتمدوا في عملهم البحث عن المتشابهات، واذكاء نيران الفتنة الطائفية، واستنبات الأكاذيب والاختلافات للطعن ولإعطاء الصورة القاتمة والمضللة عن الإسلام كذباً من عند أنفسهم، وإنَّهم بتلك الصورة المنفرة يجمعون الناس في منابت أصولهم على صف معهم في مواجهة هذا الخطر المستقبلي المحدق والذي سيطال مسيحيتهم بزعمهم ومستقبلهم كأفراد ومجتمعات، ومانعاً في نفس الوقت من التعرف على حقيقة جوهر الإِسلام، فتبقى الصورة القديمة على ذات التركيز، وقد عملوا على ذلك بعظيم الجهد والطاقات المبذولة والتي لم تكن قائمةً على أدنى مرتبة من العدل في الطرح، أو الإنصاف في التقديم، بل كانت موجهةً لقلب الحقائق والزَّيغ والتدليس والنيل من الأصول والثوابت والرموز الإِسلامية، واعتمدت في ذلك أعمالهم على أرضية ذهنية عدائية في تناول شؤون الإِسلام، وَ رُسِمَ الإِسلام بأقلام العقلية الهدامة وألوان الشر، وهذا وأكثر منه مما تجده من تواطئِهم وحقدهم على

الإِسلام وتراثه ليس ادعاءً من عندنا، بل هو حقيقة ظاهرة لأفعالهم المشوبة بسوء النية، ودليل ذلك حي معروف لكل صاحب عقل متزنٍ مُنصف ومتعلم بعيدٍ عن الهوى والتبعية، فإنك ترى الآن أنَّ جُلَّ من كان فاسداً في رأيه، عقيماً في طرحه، أو أداةَ طعنٍ في الإِسلام، إِلّا ويرجع إلى موروث هؤلاء ويأخذ منه ما يريد به تناول الإِسلام وتراثه والنيل منه وأصوله ورموزه، فهم بجرمهم عبارةٌ عن أرشيف ومرجع لمثل هؤلاء وما ذلك الموروث إِلّا تركةُ سوء وفيه جمع لكل ما هو دخيل وملقى ومما لا يُأخذ به أو ما كان فِهماً خاطئاً عن الإِسلام أو كذبٌ مفترى من قديم وقد هلك، أو مُختلق ليس له أصل، وهناك دليل ملموس نقوله وذلك بما شهد به شاهد من أهلهم، وفيه فليُنظَر لكثير من المستشرقين الذين قَدِموا على دراسة المشرق والإِسلام فلما عرفوا الإِسلام وحقيقة أمره وكانت عندهم بقايا خير في قلوبهم وتجردٍ في عقولهم وأمانةً في عملهم تركوا ما كانوا عليه وطرحوه والتحقوا بالإِسلام واتبعوه ونشروا بعض حقيقته بل منهم من نافح عنه ودافع، ومن أَسماء هؤلاء الذين ما ظلموا أنفسهم واتبعوا الحق :

الفونس دينية	مواليد 1861
ليوبولد وايس (محمد أسد)	مواليد 1900
رينيه غينون	مواليد 1886
هوفمان	مواليد 1931
جوهن بوركهارت	مواليد 1817
اللورد هيدلي	مواليد 1855
مارمادوك بكتال	مواليد 1875

وغيرهم في قائمة الإنصاف كثير.

وليُعلم ان هذا الدين وهو الإِسلام دين حق وشمس هداية للعالمين ومن أراد بيده أن يغطي الشمس فلا ينال غير خيبته وذهاب أمانته وإن غيبها لسواد قلبه وجُرم يده إِلّا أنها شمس لا تغيب ولا يذهب ضياءها مهما حاولت تلك الأيدي بكذبها أن تمتد أو

حتى بأغلاق العيون عن الحقيقة...

أما جانِبَيّ الهدف السياسي والاستعماري فلهما قصة وجب سردها وَتَبيينُها، فجزئها الأكبر كان عندما اتخذت قيادات الغرب وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا وغيرها من الدول منحى جديد في التعامل مع الشرق فقد أخذت تلك الدول دور المستعمر والغازي على العالم الشرقي واعتبرته أرضاً قابلةً للتملك والسيطرة عليها، وهذا المطمع امتداد لأطماع أسلافهم ومعتقد صراعهم مع الشرق ولكون هذا الهدف الغاشم والظالم هو مواجهةٌ مادية وبشرية مع الشرق ويترتب عليه صِدامٌ ومقاومة، فكان لا بُدَّ عندهم من استخدام القدرات البشرية والامكانيات العلمية والفكرية كأداةٍ استباقية للتجهيز لذلك الغزو والتمهيد له كنوع من الاستحضار لما لدى الآخرين من مقدرات أو ما يكون له شأن في العملية الاستعمارية والهجمة الحاصلة مستقبلاً، ويكون على أثر ما يُجمع من نقاط الآخر من قوة وضعف وتضاريس وملامح ذات أهمية من الأماكن أو الأوقات والحياة النمطية والسلوكيات الاجتماعية وأي شيء من شأنه أن يستخدم في تحقيق المطلوب ليكون عليهِ التحضير والاستعداد الأمثل لمقومات النجاح في التخطيط والتجهيز.

ولذلك نَعلَمُ هنا حقيقةً لما نرى وما رأى اجدادنا من هجمات الاستعمار علينا وعلى بلادنا ومقدراتها أنَّ ذلك غزو أشبه ما يكون بغزو الجراد على الأرض المثمرة وكذلك فعلوا، فقد أهلكوا العباد والبلاد واستنزفوا مُقَدَّراتِهم وينابيع خيراتهم، وكانوا في سلوكهم وأعمالهم بأسوأ ما قد تَتَصوره البشرية من اعتداء الإنسان على الإنسان وسلب أرضه ونهب ما عِندَه وإزهاق أرواح ساكنيها، وشواهد ذلك لا تزالُ محفورة في قلوب أحفاد وأبناء من ذهبوا جراء تلكم الاعتداءات.

فكيف بعد ذلك كُلِّه يريد منا الرائي أو الحاضر أن ننظر لهؤلاء المستشرقين، الذين مَهَّدوا وجَمعوا ما أفاد أسيادهم وقادتهم للاستعمار – والحق الأولى أن يسمى استخراب – وكانوا أخطر أحياناً من الطلقات التي تستهدف الأجساد الحية لأنهم أتوا للبلاد

الإسلامية ضيوفاً أو على شكل هيئات ديبلوماسية وسفارات أو هيئات علمية ولكنهم ما كانوا إلّا جواسيساً لبلادهم يمدونهم بما يلزم من معلومات تفيد مخططهم فهم وأسيادهم في الوِزر سواء وهذه هي نظرتنا لمثل هؤلاء، وإن كانوا عند بني جنسهم أبطالاً لكنهم عندنا مثل مُرسِلهم مُستعمرين وقَتَلَهْ وإنَّما تمت زراعتهم في أرضنا وبغض النظر عن المسمى إنَّما كان لنخرِ دعامات المجتمع وتفكيك الوفاق الداخلي وتهيئة الظروف لاستقبال سادتهم وتجنيد اصحاب المطامع من الداخل والفاقدين لأنفسهم لتحقيق ما يناطُ بهم من ايجاد التفرقة الداخلية او الطائفية المزعزعةِ للوحدة أو اجترار القوميات والاقليات البائدة، وكل ذلك يتم وفق الرؤية التحضيرية للاستعمار وتحضيراً مسبقاً للعدوان، فهؤلاء المستشرقون أو من عمل عملهم كهؤلاء المستعمرين إلّا أنَّهم كانوا يلبسون ثوب من يجالسهم ولا يمسكون السلاح بأيديهم بل يوجهون صاحبة ويستخدمون العلاقات والنفوذ بما حَصَّلوه لتأييد القرارات السياسية الدائرة في العالم بعد حصولها، وحتى أيضاً للتمهيد لبعض الاتجاهات والسلوكيات السياسية قبل حصولها بإيجاد المناخ المناسب لها لتحصيلها وإنَّ شواهد ذلك في التاريخ الحديث كثيرة لمن أراد أن تبصر عيناه ما قد نحن لاقيناه من الدسائس والتحكم والتبعية السياسية وزراعة عوامل التفرقة والحدود غير ذلك من الكثير الذي يزداد الحزن بذكره.

أمَّا الجانب الاقتصادي في عمل المستشرقين فكانوا بما ملكوا من قدرات وإمكانيات علمية وعلاقات أداةً استطلاعية وعملية لدراسات الجدوى والتنفيذ، وكانوا بقيامهم بمعرفة مقدرات المقابل من مواد وإمكانيات ومساحات مكانية وروابط بحرية وبرية يستفاد منها في الجوانب والتطلعات التجارية والاستثمار القادم والضغط السياسي ذو المرجعية التجارية والنفعية فكانوا بذلك عبارة عن أداةِ تقييم واستطلاع وتنفيذ، ابتداءً من حصر ومعرفة الموجود مروراً باستثماره وصولاً للتحكم به ومن خلاله بالأمر على شكل تبعيات اقتصادية أو استغلال بشراكات وهمية تستنزف موارد الأصل وتعطي صورةً للعالم انها رعاية وتمكين.

ومن مجملات دَورِ الاستشراق وأهدافه الدور العلمي والذي يأخذ أكثر من طريق وكل طريق حسب مراد صاحبه فمنه من كان عِلمياً مجرداً وبحثاً عن الحقائق التي تزيد المخزون العلمي والثقافي والأدبي للمرسِلْ على كآفة الأوجه، ومنه من كان كباقي من سبق من الأهداف ذو حدين وحَدُّهُ الجارح هنا باستخدام ما يتم جمعه من البلاد الإِسلامية والمشرق من معلومات لمراكز الأبحاث والجامعات والحكومات وأيّ جهة قد يلزمها دراسة يقوم عليها اتخاذ قرار أو تمرير فكرة أو رسم غاية وهدف، وهناك الأشد حِدَّةً والأسوأ عملاً في الوجه العلمي للاستشراق وهو الجمع لغاية الغزو الفكري من أصحاب الأجندات والأيدولوجيات الفكرية والتي ترى سلاح العقل أقوى من سلاح المادة لأن التحكم عندهم بالعقل هو تحكم بكل شيء وسيطرة عليه وهؤلاء لم يجمعوا كل ذلك المحصول المعرفي إلّا سوءًا في الغاية ومكراً عدائياً في المقصود.

وبعد هذا المختصر من الشرح لأهداف هؤلاء المرتزقة كان لا بد إنصافاً أن نقول إن بعضاً منهم حتى وإن كان قليلاً ولكنَّه نقلَ الصورة المشرقة الحقيقية للشرق، وللإِسلام خاصةً كما هي، فكان مرآةً عاكسة لما اطَّلَعَ عليه أميناً منصفاً فَنَقَل بقدر ما استطاع أن يفهم علو التعاليم وجمال العلوم وذلك مسطر يستطيعُ أيَّ شخص أن يطلع عليه فيعلم ما نقول.

***

أحفاد المستشرقين (المستشرقون الجدد)

مما أثارَ حفيظتي وحفيظة كل غيور على الإِسلام والمسلمين ما رأيت فيه أيادي العداء ممتدة وهي السبب في إِعّمالِهِ وتَوسُّعِ انتشاره، وذلك بأنني أرى كما يرى غيري ذلك التهافت والتقليد الأعمى من قبل الشباب في مجتمعنا المسلم على ما لا ينفعهم في دينهم ولا يفيدهم في دنياهم من الإغتراف من شهوات المادة والتعلق بصور الغرب البعيدة عن تعاليم الدين الإِسلامي أو قِيم المجتمع الخلاقة، وأيضا مما رأيت من صدارة بعض الفرق والسلوكيات الصوفية المنحرفة واعتمادها كفهم من الشرع وصادرةً عنه مع ذلك التقبل والتشجيع من الآخر والذي هو أصلاً لا يحتكم للشريعة ولا يعتمدها منهجاً له، وإنَّ كِلا الآخذِ عن مثل هؤلاء أو من يتقبلهم ويريد أن يظهروا كصورةٍ للإِسلام هم نوع من الاعتداء وزراعةٌ للوهن والضعف في الدين وإعطاءٌ لصورةٍ غير صحيحة عن الإِسلام والمنهج القائم عليه، وهناك غير ذلك الكثير من الأحداث التي أصابت جانباً من جوانب المجتمع أو تعدته لأكثر من جانب والتي قد يُرى بعضها غير ذي أهمية بالنظر غير البعيد، ومنها ما قد يصل تأثيره لأساسيات وقواعد التناول الفكري والعقلي والأرضية الاجتماعية من خلال تغيير سلوكها ودرجات الميل في تقبل واعتماد بعض الأنماط أو القِيَّم الدخيلة، والأخطر من تلك الأحداث تلك التي تتناول تعدياً الإِسلام كدين ومنهج، وتستهدف طريقةَ التعامل معه تطبيقاً ومدى درجة اعتماده في السلوك النظري والعملي ومدى الارتباط به كمرجع أصيل في التوجيه وأخذ المجتمع به على صعيد كآفة الدوائر الداخلية والخارجية، فكان هنا ادراكاً عند من يريد الإِسلام كمنهج ونَظمُ حياة أنَّ هناك دور فعال يقوم به البعض ممن لبس ثوب الإِسلام ظاهراً وكان باطنه موالياً لغيره متقمصاً بذلك دور المستشرق الحديث صورةً والتي يعمل تابعاً وامتداداً لعمل وفكرةِ وجهد القدماء من آباءهم المستشرقين وكلٌ مما سبق من أب وحفيد حديث وقديم تابع لأصحاب القرار لتلك الدول أو الهيئات السيادية العالمية التي تنظر للإِسلام وللمسلمين كهدف معادي ومَطمَع مأمول نابعٌ ذلك عندهم

مِن تراكمات مَن قَبلَهم وما نشأوا عليه من أفكار وتعاليم تشربوا معها حمل راية العداء للإسلام بكونه العدو المحتمل والمتربص للهجوم عليهم في مفهوم صراع الحضارات الذي يعتقدون بوجوده ويعتنقون مفاهيمه امتداداً عندهم منذ الحروب الصليبية إلى وقتنا الحاضر وحتى ما سيأتي من مستقبل.

ولذلك لو أمعنا مدركين باحثين بعين البحث المعرفي والتنقيب السببي لرأينا الآلاف من مراكز الابحاث والمعاهد الفكرية على مستوى العالم التي تجمع الكفاءات والقدرات الفكرية والسياسية والتي جعلتها أداة لدراسة الآخر وهو نحن كمسلمين وإسلام خاصة ولغيرنا عامة، للوصول إلى تصورات استباقية ونظرة ودراسة استراتيجية تساهم في توجيه السياسات أو تشكيل الرأي العام وتكوين الأفكار بناءً على قواعد معلوماتية ودراسات نظرية وعلمية وميدانية تكون ذات فعالية فيما سَيُقدِمون عليه أو يفرضونه على الآخر بتبنيه، أو استمراراً لما أَقْدَمَ عليه سابِقهم.

لذلك نقول: إنَّ هذا امتداد منهم على نهج أولهم مع تعديلات واسعة وتدخلات أعمقٍ وامكانيات أقوى وتأثيرات مباشرة منها ادخال متطوعين راغبين في الانتساب إليهم من بني جلدتنا تمرداً على واقعنا او انسلاخاً من هويتهم أو منتفعين يؤدون دورهم كموظفين يبيعون ما لا يباع من أجل بريق المادة او المكانة الدنيوية.

ولنضرب مثلاً عملياً ليتضح به المقال، مركز راند للأبحاث وهو مركز أمريكي يعمل على مستوى عالمي يضم من القائمين عليه ما يقارب الألفين من الباحثين والخبراء وأصحاب الكفاءات العلمية والتخصصية، وهذا المركز الغير ربحي في ظاهرة يَصدُر عنه كثيراً من الأطروحات والتوصيات والدراسات عن الشرق الأوسط وعن الإسلام تحديداً والتي تُطلب منه من أصحاب القرار تمهيداً لتنسيق جو التعامل والآلية مع القضية المراد التعامل معها، فما تقدمه هذه المراكز وغيرها من الجهات المعلوماتية هي امتداد لفكره الاستشراق بوجهه القاتم وذراعٌ فكري لأصحاب القرار في بلاد الغرب وليقاس على ذلك في عَمَل الأول وعمل التابع المستحدث في الغاية والطريقة

والقاعدة التي يعمل عليها كلاهما، ولنأخذ مثلاً عن مثالنا الذي ضربناه فمركز راند قَدَّم في توصياته حول الإِسلام بالأخذ والتشجيع المادي والمعنوي للاتجاه الصوفي والإعمال على بروزه واعتباره هو وجه الإِسلام المعتدل، وهذه التوصية إِنَّما أريد بها تقويضاً للإِسلام واعتماد من كان ذائباً في تجلياته الذاتية وخاضعاً لغيره لضعف إرادته وقاعدته الأصلية ولكونهِ غيرَ مطبقٍ للإِسلام بشموليته كمنهج حياة وكدين ودولة وسياسة ودعوة وهذا هو الوجه المطلوب عندهم وهذا المراد هو الذي يناسبهم بإيجاد إسلامٍ جسداً بلا روح عصري القيم فارغ المحتوى من الثوابت والمضمون الأصيل...

***

العلمانية

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ [الروم:41].

قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾ [المؤمنون: 71].

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة: 44].

قال تعالى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [المائدة: 50].

العلمانية مبدأ ذو مرونة وهي مفهومٌ حديث في التناول وحداثة المُسمى، وقد ظهرت جلياً في القرن السابع والثامن عشر الميلادي كوجه بارز في الحياة الأوروبية وكاعتماد لمفهومها، وامتدت لعصرنا الحديث كقوة وأساس محرك في اتجاهات بعض الدول ومعاييرها الداخلية، ومع كون العلمانية لها جذور مشتركة في المعنى مع بعض الفلسفات القديمة وتحمل جزءاً من تركِتِها إلّا أنَّها ظهرت بثوبها الجديد واتساع تأثيرها ونظرياتها وعدد الداعين إليها بقوة نظرية وبدعوات جَعَلها عملية بعد تلك الظروف الحالكة في مجتمعات أوروبا في القرون الوسطى والتي كانت يدُ وأنياب التسلط والتقييد من قبل الكنيسة والقائمين عليها ورجالات السُلطة التابعين لها ظاهرة التأثير على النظام المجتمعي والأفراد وحياتهم الاجتماعية فهذه الفترة المظلمة في تاريخ الغرب والتي تظهر فيها أسوأ درجات الاستنزاف لمقدرات الشعوب والتحكم بمصائرهم مع وجود الطبقية المقيتة التي أوجدت ما يشبه نظام العبودية الشامل على الحياة المجتمعية إضافة لتلك القيود الشائكة على الحريات الفكرية والجهود العلمية، فقامت على اثر ذلك الثورة على التسلط الكنسي ومن يدور في فلكه أو يأخذ عنه أمرُه، وهنا رَكبت العلمانية بمفهومها العام آنذاك موجه الفوز واعتمدت كأساس في الفهم والتقييم،

فالصورة الذهنية والنظريات التي تقوم عليها أكثر الأطروحات والمفاهيم العلمانية مستمدة من اعتبار أنَّ الدين عائق ومتحكم بطرائق الوصول للعدالة الاجتماعية والتقدم العلمي والفكري ومانعاً للنمو الحضاري والازدهار الاقتصادي فوجب بذلك من طرف أدعياء العلمانية بناءً على هذه التجربة المريرة والظلام المُمَنهَج أن يكون هناك بديلاً لآلية الإدارة والطريق المتبع للوصول إلى مناخ ملائم يرتفع فيه المستوى الاجتماعي للأفراد ويَأخُذ فيه العلم والعقل المجرد دور الريادة واستلام زمام الأمور نتيجةً للقصور والفهم الذي تَوَلَّد عمّا سبق بكون الدين عاجز عن تحقيق ذلك بل هو عندهم سد يحول دون ذلك، فوجب حينها تنصيب العلم والحرية الفكرية والعقلية قائماً على الأمور ورفع يد الدين أو رجالاته عن التحكم أو التدخل بشؤون المجتمع أو الدولة.

إذاً فَيُفْهَم أنَّ العلمانية بديل نتج عن اسقاط الدين عندهم، وانتصارٌ للعلم والتجريب والفكر الذي كان مُقَيَّداً وأسيراً في تاريخهم، وإن صح التعبير فأقول من وجهة نظري أنَّهم نسخوا فعالية الدين وحصروه في دائرة ضيقة في دور العبادة والسلوكيات الفردية ومنعوه ان يتجاوز ذلك وأن يتعدى فيكون له أيَّ سُلطة في التأثير أو التوجيه العام، وفي نفس الوقت أرادوا تعلق الأفراد بالعلمانية تعلقاً أشبه ما يكون بالتعلق بالدين وذلك نابع لإدراكهم ماهيةَ قوة الإيمان بشيء والتمسك بالمعتقد، فأخذوا تلك الجزئية وحاولوا الاستفادة منها فقاموا بمزج الألم من الماضي مع الأمل الجديد بالعلمانية فأصبح التمسك بالمطلوب ذا قوة داخلية، وبمعنى آخر أوضح بأن يصبح العلم والتجربة والحرية الفكرية والعقلية دوناً عن الوازع الديني أو الغيبيات هي المحفز والوحي للحصول على العدالة والرفاهية الاجتماعية والنمو الحضاري في كل جانب.

وإنَّنا لو نظرنا لحال العلمانية الآن في الدول التي تتبناها من خلال آلية تعاملها وعملها ونظريات وأفكار مُنظِّريها وأصحاب القرار فيها لوجدنا أنَّ العلمانية في شكلها العام تعتمد على الرؤية بإزاحة وتحييد أيِّ تدخل لأمر السلطة الدينية على الأنظمة

البشرية المعمول فيها في الدولة، وبعنوان أوضح بفصل الدين عن الدولة، وهذا في عمومها أمَّا في التخصيص فلكل جهة سيادية أو من كان متناول لها طريقةُ الخاص في استخدامها مع بقاء اشتراك الجميع في المفهوم العام لها.

وبعد هذا المختصر في فهم أمر العلمانية وأصلها عندهم وأنها نور بديل بزغ كطريق لإنارة حياتهم بعد ذلك الظلام الذي عايشوه فلا بد أنَّنا وعينا الآن أنَّ هذه التجربة خاصةً بهم فقط كمجتمع غربي غير مسلم عانى ما عاناه من الاضطهاد والتعدي الكنسي والسلطوي عليه، ولا بد أن نعي معه أيضاً أنَّ التحريف في مناهج الدين عندهم من أحد أسباب التواطؤ والإجتراء من قبل رجالات الدين عندهم لتسخير الدين واعتباره كأداة لتحصيل المنافع وتحقيق المصالح، وهنا وجب علينا تبيين الصورة عندنا ليتضح وجه المقابلة فيما سيأتي وهي معروفة معلومة لكل عقلٍ راجح وقلمٍ منصف وإعلام وتاريخ محايد، فالدولة الإِسلامية حينما كانوا تائهين في ظلامهم كانت سراجاً للعلم وقبساً للفهم ووجهاً حضارياً مشرق، ولا تفرقةً في الدين فلا حكم لرجالات يحكمون بإسم الدين وغيرهُم أتباع، بل كان الدين منهج حياة وموجهاً للجميع والجميع تحت تعاليمه، ولا طبقيةً دينية بل المقياس والأفضلية بالتقوى وهذا أمر غير ظاهر عادةً أو مطلوب إبرازُه، وعلاقة الدين الإِسلامي كمنهج مع التابعين كان على خير تمثل بإتباع الطريق من المسلمين وحسن التطبيق منهم، وعلى امتداد الزمان ولنهاية الزمان فالثبات في الأصول ظاهر ولا ولن تناله يد تعمل على تحريفه أو تُسخِّره مثلما فعل من حَرَّفوا دينهم وإن كانَ هناك من شَذَّ عن الحق والتمس طريقاً ضالاً فهذا لا يعود إِلّا عليه ولا يعتد به أو يقاس عليه وإنَّما كان هذا من سوء عمله أو نِفاق حاله.

أمّا من ناحية تحليل ظاهرة العداء على الإسلام من قبل العلمانية فهي كثيرة الأطراف وسنأخذ الأبرز منها وهما طرفان، أما الأول فما كان من نفس طرف العلمانية العالمية ونظريةِ إخضاع الآخر لها كنوع من شروط الانضمام للمنظومة الدولية أو المجتمع الدولي والتعاون المتبادل، وهذا الطرف فهو يحاول بكثير جهد الإعمال على

ذوبان الإِسلام ولو جزئياً في منظومة الفهم العلماني والليبرالي وبالتالي الذوبان الحضاري والثقافي للإِسلام داخل دائرة حضارته وقِيَّمه، ونشر المفاهيم الخاصة به وزراعتها داخل المجتمعات الإِسلامية عن طريق أدواته من أفراد أو هيئات أو مراكز أو إعلام أو مفكرين وأيُّ سبيل غير ذلك مع التجني على الإِسلام وادعاء الكاذب أنَّه لا يستطيع الوصول بمجتمعه وحالةِ أفراده الاجتماعية والعلمية إلى المستوى الذي وصل إِليه أصحاب التجربة والأسلوب العلماني ويريدون من ذلك زعزعةَ الإِسلام في قلوب وعقول متبعيه وَوَضعِهم تحت فِكرةْ المأمول واللحاق بالغرب، وأيضاً تشويه الصورة العامة له في العالم وبذلك يشكلون سداً مانعاً للدعوةِ إِليه وحالةَ النفور منه أو تبني أفكارهِ وتعاليمه، وهذه المحاولات منهم هيَ لإِضعافه ولاعتبارها مدخلاً بنظرهم لتحفيز الخروج عليه بالمقارنات بين النتاج العام لكل جهة... والطرف الثاني من وجوه عداء العلمانية للإِسلام وهو الظاهر وجوده بأفكار وأقلام وتوجهات وأفهام من ركب مركب العلمانية وانتسب إليها وهو من بَني جِلدتنا ويحمل اسماً من أسماءنا، وهذا الشيء لهو ناقل عدوى وأداةُ مرض في جسد الأمة وهو إِمّا أن يكون فاقداً للأهلية أو مُستأجراً للغير، وهذا العلماني من الداخل الذي استقى من العلمانية فِكرهُ ونَهجَ طَرحه والذي يحاول أن يَنقلهُ ويُسقِطَهُ على الإِسلام حسب فِكر ونظريات الغربيين ولكأنَّهُ لم يدرك أو يملك عقلاً يفكر فيه بواقعية وإنصاف أنَّ تلك النظريات والأفكار التي يُقلدها عنهم لا يصحُ بأيِّ حال إسقاطها على الإِسلام أو المجتمعات الإِسلامية فشتان بين تجربة الظلام عندهم وحالة النور عندنا، ثُمَّ أَلَم يعي أو يرى أنَّ أسلافه من العلمانيين لم يجدوا عندهم ذلك الدين الذي يكفي مؤونة الإنسانية ويرسم لها الطريق المثالي لما أصابهُ من تحريف وخروج عن الأصل بينما عندنا نحن أهل الإِسلام كان الإِسلامُ ديناً ودولة، خيراً وخيرية، كمالٌ وجمال، عقلانية ومثالية، عدل واحسان، أخلاق وعدالة اجتماعية، فكيف يحكمون على ما عندنا بما كان عندهم؟ أليس هذا تكراراً لظلم قد أصابهم في أسلافهم! وبدلاً من أن يمنعوا تكراره يريدون أن يوقعوه علينا؛ فرجالات دينهم

قيدوهم وظلموهم بأفعالهم فلماذا يريدون أن يظلمونا الآن باستخدام تلك المقابلة الغير منطقية والتي لا يد لنا فيها أو تدخل أو تشابه في الأحداث من قريب أو بعيد، فنحن لا نعاني مما عاينه هؤلاء ولا نحتاج حلهم لأَنَّنا لسنا بمشكلتهم ولم نطلب تجربتهم كأهل إسلام، فنحن عندنا منهج أوصلنا لأعلى درجات الرقي والعدالة الاجتماعية والتفوق العلمي والجمال الروحي والخُلقي وإن نحن الآن اصابنا بعضُ الوهن فإنَّما كان هذا نتيجةَ ضعف التطبيق للإسلام وحسن الامتثال له وحالة التفرقة والتنازع التي أُحدثت، فهل يكون الحل بالانقلاب على الدين؟ بل على العكس تماماً فالرجوع إليه وتحكيمُ منهج الله سبحانه وشريعته هو رجوعٌ للخير كُلِّه وللتمكين والعلو على كل وجه، فنحن لا نريد منكم أَيُّها العلمانيين أو الليبراليين أو مهما كان وصفكم تلك الصورة الحضارية على حساب الدين والتي هي عندكم نور لا يلبث أن ينطفأ لأنه قائم على مادية بحته خالية من القِيَّم والإيمان الحقيقي والارتباط بالوحي ودليل ذلك يعلمه العلماني قبل المسلم حتى وإن حاول أن يُخفِيَهُ أو ينكره، فالمجتمعات العلمانية وأن كانَتْ بَراقة المظهر الحضاري إلّا أنَّ انعدام الغاية العليا واضطراب الروح وتشوهات الأخلاق لدى الأفراد وانحراف نوازعهم ظاهرةٌ غيرُ مُنكرة، فأيُّ شيء هذا الذي تدعونَنا إليه لنكفر بالخالق أو نجعل تعاليمه حالةً من التجليات في صغير الأماكن وننزع الروح والفعالية من المنهج في دوائر الحياة والذي هو الحياة نفسها والغاية المثلى، فإن كنتم على عقل كما تزعمون فلماذا عن الحق تحيدون أليس الأجدر بكم أن تجمعوا بين الدنيا والآخرة على الوجه الصحيح وبين الروح والجسد، وهل إنكاركم للغيبيات أو الدار الآخرة أو الغاية من الخلق بفهم الإسلام معناه أنَّكم على حق فيما تنشرون لمّا حزتم بعض بريق المادة او العلم بمقياسكم، وهل من كان قبلكم منذ فجر الإنسانية ووجود البشرية على باطل، وهل تجربتكم لمرارةٍ أصابتكم تعني أنَّها تصح أن تكون ترياق العالم ومنهجه، وهل عندكم الكمال مبنيٌ على أصول علوية أم على اجتهادات عقلية يأتي شخص كل حين ويعدل عليها وهذا التعديل هل يتوقف يوماً أم يأتي ربما

أحدكم بجديد ويهدم كل ما بنيتموه فأيُّ تخبط هذا وأيّ هوىً متبع، فكل أمر حق فيما يتعلق بعالمية التوجيه والإِصلاح وجب ان يكون علوياً كاملاً ثابتاً ذو مرونة محفوظاً لا يُمس يراعي أمر الدنيا وما بعدها وينظم الحياة، ويسع كل شيء خيريةً وحسن تناول ويرتقي بالروح بالإيمان، وهل نجد ذلك كله سوى في منهج الإِسلام، فالإِسلام هو منهج الحق وهوَ الحق، وما أنتم عليه قائمون إِنَّما هو سراب أصابكم وتحكم هوى ووحي شيطان.

وأود أن أسأل كلَّ علماني سؤالاً وإن كان سؤالي يحمل صفة الغرابة، وهو: لو أنَّ الثورات على التجبر الكنسي لم تنجح ولم تُطرح هذه المُستحدثات من الأفكار كردود أفعال فكيف سيكون حال واقعكم الآن؟

ولو تعادلت المضاربة بين أسلافكم وبَينَهم فكيف سيكون الناتج عن ذلك المزيج من الظلم القاتم مع التحريف والإِنكار القائم على نبذ الدين؟!

***

الملاحـدة

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ [الإسراء:89].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [البقرة:6].

قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف:146].

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية:24].

إنَّنا نقف هنا أمام ظاهرة عدائية حالكة قديمةٍ وجديدة، وهي في ذاتها ظلم وعداء للنفس وللروح التي تتشارك معها شخصية معتَقِدُها، فالإلحاد والمقصود به هنا هو الميل عن الحق والانكار لوجود الخالق أو الدين لهو منابع فسادٍ عقدي وتشوهٍ عقلي أدى بصاحبه لإنكار الموجِد الخالق سبحانه وتعالى والارتكاز على المادية البحتة والتخبطات العقلية في النظر والقياس، وإنَّنا إن قلنا أنَّ عموم الإلحاد نابع من العزوف عن الايمان وإنكار الإنشاء لهذا النَّظْمِ البديع الذي نحن جزء منه والايجاد من قبل الخالق وحتى وجود الخالق سبحانه فهذا جزء، فهناك أيضاً ظاهرةٌ وفرع جديد لهذا الإنكار والتي نستطيع أن نصفها كظاهرةٍ مرضية أصابت البعض وإن كانوا قِلة قليلة في مجتمعاتنا الإسلامية وكثيرةً في المجتمعات العلمانية أو غير الإسلامية وتلك الظاهرة ما هي إلّا اضطرابٌ داخلي ولوثةٌ عقلية أصابت صاحبها لنقص المناعة الايمانية لديه وضعف التحصين الديني نتيجة صدمة أو أكثر تعرض لها ذلك الإنسان فكانت عنده سبباً في الانسلاخ من نفسه أولاً بإنكار ذاته ومن ثُمَّ بإنكار كل ما يتعلق بالدين وما ارتبط به

من إيجاد ومنهج مفروض، وإن هذه الصدمات هي عبارة عن معترك قد يصيب العديد من الناس لكن هذه الفئة التي مالت عن الحق وسلكت طريق الإنكار هي مُتَقبِلة – لغياب الايمان الحقيقي والادراك العقلي عندها– للاندماج مع الصدمة بحيث ترتكز عليها في التأويل والسلوك المضاد باتخاذ الإلحاد طريقاً للهروب، وعِوَضاً منهم عن فهم حقيقة الصدمة أو التأثير الذي حصل وتفاديه أو تفنيده والبحث عن ماهيته وايجاد حلوله لجأوا إلى الإنكار بالكُلية كحل، فبذلك أصبحوا فاقدين ومعدومي العقلانية غائبين عن الوعي الإيماني، آثروا الغاء كل شيء حتى لا يواجهوا أي شيء، وأوسع تجربة وأوضح مثال نجده في الغرب، فإنك إن نظرت من خلال نظرتهم للدين في القرون الوسطى لعرفت أنَّ هناك قصةً عندهم وجب ذكرها لتعرف جزءاً مما جال في خواطرهم واعتمدوا عليه، فقد كان الاضطراب في فهم حقيقة الحياة وغياب المثالية المُؤداة من قبل الدين عندهم آنذاك بسبب التحريف الواضح والمُسَبِب لتغييب حُسن الإرشاد وكمال الرؤية قد أدى إلى الحنق على الدين والقائمين عليه من رجالات دين وأصحاب سلطة منتفعين به والذين بِتَعديهم وسوء تأويلهم استخدموه كأداة ووسيلة لتحقيق مصالحهم ونيل مطامعهم، فتولدت عن ذلك حوافز الربط بين الدين والقائمين عليه وبين الألم السائد في المجتمع والجهل المتفشي والظلم الاجتماعي وحجب العلم والتعلم، وهذه الصورة الواضحة التي لا ينكرها أحدٌ عاقل في العصور الوسطى وفترة الحكم الكنسي عندهم، فما كان منهم كردة فعل إلّا أن رفضوا الدين بالكلية في كثير منهم ورفضوا معه كُلَّ ما تعلق به، ونظراً لقصور الادراك وضحالة التأسيس ظهرت فئة لم تكن على هذا الزخم وهذا التعدد والتقدم في ابداء الرأي وهم الملاحدة وأصحاب النظريات الفلسفية القائمة على الإنكار والإلحاد والتي تَلقَّفَ بعدها عنهم الكثير من الناس أفكارهم، لأنَّهم أصلاً فاقدين الأمان والثقة بالدين بما أصابهم من جِراح التَسلُط وما لامسوه من اضطراب التعاليم المُحَرَفَة والتنازع الداخلي في النفس بسبب ذلك القصور أو الازدواجية في الرؤية والمعايير الايمانية وهذا كله مما جعل بعض الملاحدة أو

فلاسفة الإلحاد يتصدرون المشهد.

ولنعد إلى عصرنا الحالي والقريب منه زماناً، فحالُ الملحدين فيه حال عجيب، مَثَلُه كمثل المريض المصاب بانفصام متعدد الأوجه فهو تارةً يستمد فِكرةَ إنكاره من الفلاسفة القدماء من يونانيين وغيرهم، وتارةً من فلاسفة الإلحاد وملحدي القرون الوسطى، وتارةً ينكر كل شيء لهوى نَفسِه ليبقي نَفسَهُ في حياةٍ بهيمية خالية من القيود والارتباطات ويُبعِد ما قد يتحكم في نزواته وشهواته، فنظرته القاصرة هنا للحياة على أنَّها فرصةٌ لنيل كل شيء ولا محاسب عليها وأنَّها مرور عابر من الصدفة إلى النسيان فينجر بذلك بلا وازع في شهواته وتحقيق ما يستطيع من مادية، وإنَّ هذه النظرة العقيمة من مِثلهم لهيَ انفلات وتفلت من المسؤولية والمحاسبة والتي وضعوا بها أنفسهم بذلك الوهم والإنكار المريح ليخرجوا من تأنيب الضمير وتأثير الوازع عليهم، وهناك أيضاً من التائهين من الذي حمل في نفسه حقداً على الدين عموماً وعلى منتسبيه لأنَّه رأى في محيطة ما أحدث لديه صراعاً وصدمةً نفسية كانت سبباً في ذلك؛ وذلك بأن ما تم تمريره من الطرف المجاور لهم أو البعيد والذي ينتحل صفة التابع للدين متغايرة مع واقعه الملموس والظاهر فيضاف على ما عندهم من قلة علم ورسوخ إيمان وفهم للدين فتتولد بذلك الكراهة للأصل اعتقاداً كاذباً منهم أنَّه المُسبِب لذلك التعارض أو المؤدي للصدمة التي واجهها لقصوره فيما فَعلهُ منتسبيه، ونقول حقاً: أنْ لو كان عندهم خيراً في الفهم وحيزاً من الادراك الحقيقي والرصيد الإيماني عن الدين الحق لَعَلِمَ أنَّ الدين لا يُؤخذ بالشخوص ممن لم يُشهد له بالخيرية وأنَّهم ليسوا مرجعاً يُستسقى منه بل هم بشر يخطِئون ويصيبون، وربما هناك من انتحل ما ليس عنده أو تستر خلف ستار الدين لتحقيق مآربه كحال المنافقين الذين هم معلوم وصفهم وما هو حالهم، فالأصول ثابتةٌ محفوظةٌ في الإسلام يُؤخذ منها ولا يُؤخذ عليها، وهناك أيضاً من سلك طريق الإلحاد ممن كان ضعيف المادة الايمانية وقليل الدراية الشرعية ولم يبحث عن الحق حقاً بجهد المُكَلف والباحث عن الغاية المثلى بل أمعن النظر بالماديات والتقدم الحضاري لبعض

المجتمعات واعتبرها هي المرجعُ للنجاح وطريق البروز فانضم إليها فِكراً وعملاً وجعل نفسه تابعاً مقلداً لها ولأفكارها فانسلخ من هويته وهجر أرضيته الشرعية إرضاءً لشروط الانضمام لهم وكأنَّه لا يعلم أَنَّ تلك الصورة للحضارة المادية صورة جميلة لكنها مؤقته وانَّها لا تعد حقاً مكاناً يصلح إِلّا إذا كانت قائمة على قِيَّم ومنهج علوي وتعليمات ربانية فالكمال في المناهج العلوية مؤداها قطعاً مثالية وتفوق وبروز على كل وجهة وأيِ جانب مادي وقِيَّمي، وإنَّ حالة الركود الحضاري التي نحن فيها كمسلمين إنِّما من أسبابها ترك التطبيق المثالي للشريعة، واللحاق بوهج المادة وصور الحضارة الزائلة على شكل تابعين، وليس كما يريد الإِسلام أن نكون بالمقدمة ونحمل شُعلة الهداية للعالمين مع ما عندنا من قوانين وأنظمة وتوجيهات تحقق لنا ذلك، وإنَّ إيثار المادية دوناً عن الإيمانيات والشرعية هو نظرةٌ غير شرعية وما هي قصد من مقاصد الإِسلام.

وسؤالنا الأولى الآن لماذا يعادي أكثر الملاحدة الإِسلام؟

وتركيزنا سوف يكون حول من له احتكاك بالمجتمع الإِسلامي من قريب بِأن يكون في داخله كمواطن في إحدى دوله أو من بعيد كأن يكون له أصول متعلقة به وانتقلَ بجسده خارج المجتمع لكنَّ رسائل أفكاره وما عنده من سموم يحاول أن يوقعها على الإِسلام وأهلِه ويبثُها حَوله، والجانب الثاني في التركيز على ذلك الملحد من خارج المجتمع أصلاً بكونه ملحداً أَصلياً في بلده العلماني والبعيد احتكاكاً عن الثقافة والتراث الإِسلامي، وهؤلاء الملاحدة في مجملهم على اختلاف افكارهم وتضارب فلسفاتهم فيما سلكوا من منحنى رافض للوجود الإلهي والتعاليم الدينية قد جعلوا إِنكارهم مبنياً باعتقادهم على علة التضارب والنقص في الدين بعمومه وعلى ما يرتبط به من إِيجاد وتعاليم وغايات ورؤية، والغريب منهم بدايةً أنَّهم لم يحاولوا بقدر جهد إِنكارهم دراسة صحة او خطأ ما أنكروه من حيث الأصل عموماً أو من حيث الشبهة التي أوصلتهم إلى ما هم عليه من اعتقاد وزيغ، والغرابة الثانية إنَّ تعزيز قناعاتهم

ودفاعهم عن آرائهم مبنية في عمومها على إبداء الضَعف والخلل في المُقابل وليس وضع الدليل والبراهين على صحةِ ما عندهم فكأنهم بذلك جانب لغياب النور وعمى علمي لِغياب العقلانية والنقاوة الفطرية وهناك العديد من الغرائب والأمراض الظنية والأفكار غير المتزنة والتي يعتمدون عليها فيما يذهبون إليه... ونعود لموضوعنا، وكما قلنا سابقاً فملاحدة الخارج رأوا الاضطراب والاختلاط المشوِهْ للأصول بسبب المنافع الخاصة للأفراد فكان هذا دافعهم للإلحاد وأمّا ملاحدة الداخل – ممن في مجتمعاتنا – فليسوا على علاقة بما كان عند أسلافهم لِاختلاف ديانة كل مجتمع عن الآخر فالهالكين الأوائل تولدت حِجَج الانكار عندهم بما عايشوا من تحريف لدين وأثر ذلك على المجتمع، لكن هنا الإِسلام ولا يوجد ذلك التضارب ولا العجز أو الازدواجية في التعامل فما كان منهم إِلّا أنَّهم حاولوا نسخ تجارب سابقيهم وحاولوا إسقاطها على الإِسلام وإنَّ فَشلهم ملازمٌ لمحاولاتهم وما يكيدون؛ فرصانة التعاليم وكمالها وثبات الأصول ومحفوظها وعلو القِيَّم وأمانة الدعوة لا يَتأتى عنها ما تأتى عن غيرها مما قد تلاعبت به يد المصلحة والأهواء ناهيك عن تعهد الحفظ من الخالق سبحانه الذي منع أن يُطال بأيِّ تغيير أو تحريف ومهما حاولوا من وضع شبهات أو اختلاق افتراءات فهي مَردودةٌ عليهم ودليل إضافي على محفوظ منهجنا وإِنَّ تكبرهم وعنادهم عن رؤية شمس الحق دليل على ذهاب نور البصيرة والعقل عندهم، فإنَّهم لمّا عجزوا عن إثبات ذلك الإسقاط الكاذب والمُفتَرى سلكوا طريقاً آخر وهو وضع الشبهات العقلية والمغالطات المنطقية وإِثارةَ ما كان ظاهرهُ التعارض فاتخذوها مدخلاً لإرباك الغير وسبباً لعزوفهم وهجرانهم الحق، ونعود نسألهم نفس السؤال السابق آنفاً، لماذا لا تركزون جهدكم وتنصفون عقلكم بالبحث عن حقيقة الأصل ومدى صِدقه وصلاحيته؟ ولماذا تحاولون أن تزرعوا شبهاً ما هي إِلّا افتراءات منقولة عن فاقدي العقول الراجحة ومتضاربي الشخصية؟ ولماذا تعلقتم بشبهة فكانت محور اعتقادكم وحياتكم وأنكرتم من خلالها منهجاً كاملاً وديناً صالحاً ومُصلحاً لنقل البشرية ونقلكم معها إلى علو

الخيرية وجمال التكريم للإنسانية!!

وإنّي عندما أنظر لهؤلاء وحالهم وبعضَ أقوالهم لأرى فيهم ذات الانكار للذات، وذلك لأنَّنا نحن أهل الإسلام في مفهومنا واعتقادنا انَّ الخالق سبحانه وتعالى قد خلقنا لغاية عليا وهي العبادة والتسليم له سبحانه، فكانت هذه الغاية العظيمة تكريماً والواضحة توجيهاً، وما لازمها للإنسان بما قُدر من تسخير الاشياء له ليؤدي دوره وحياته على أكمل وجهة وخير وجه بعد ذلك الاستخلاف، ولهذا فإنكارهم لغاية الوجود أصبحوا فيه كالعدم لأنَّه معلوم لكل من ملك عقلاً أنَّ عدم وجود غاية هي غياب لقيمة الشيء، وهم اختاروا أنَّهم لا شيء فأصبحوا بما أنكروا من غاية لأدنى مرتبةً من الحيوانات وقريباً من الجمادات فكل من كان على حالهم ورأى نفسه منهم فكأنما يصف نفسه بأنه حدثٌ في دائرة الصدفة والتوهان ما يلبث أن ينتهي، ولا أدري حقيقةً ما هذا العلو في الغباء والعمى التي وصلها هؤلاء، حتى وإن جمعوا أعلى الشهادات الدنيوية والدراسات فما هي إلّا حجَّة عليهم ومَثَلهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً؛ فلو كان نور العلم والبصيرة والعقل نقياً عندهم لدلهم على الحق، ولأرشدتهم الدلائل التي حولهم وفي أنفسهم أنَّ هناك خالقٌ مدبر حيٌّ قيوم، لكن سبحان الله أَبوا إلّا العمى، وأُضيف أمراً فيما رأيت بنفسي من بعض أحوالهم، تيقنت معه أنَّهم يجمعون مع الإنكار مقداراً عالياً من سوء الأدب وعظيم الافتراء، فأخلاقهم ليست مما يُعتد بها جُرأةً منهم بالباطل وما عندهم مِن قبُح تطاول، وإنَّما أرادوا بتلك العداوة مع الإسلام لِيَظهَرَ لهم شأن لأنَّهم لا شيء فيضرِبون رؤوسهم بهذا الجبل السامق يحاولون بذلك اثبات وجودهم وَ والله إنَّهم لا شيء ولا على الحق بشيء ولأَنَّ أصولهم واهية وعقولهم خاوية وليس لهم مُقَدَّرات من الإثبات العلمي أو الترجيح العقلي آثروا أن يضربوا بسهامهم فيُلتَفَتُ لهم، وهناك أمرٌ هم يوقنوه في أنفسهم وذلك بأنَّهم ليسوا على منهج أو تراث يدعون غيرهم إليه ويتحصلون به لأنفسهم ولغيرهم الخيرية أو المثالية أو حتى المنفعة السلوكية والتوجيه، فحياتهم قائمة على إنكار مبني على شبهات أو نبذ الآخر

وهذه الحالة هي أشبَه ما تكون بالوحدة المرضية وإنكار المحيط، ووضع النفس فيه كوهم مريح وعمىً مُصطنع والذي يذهب هذا الوهم ويحترقوا معه عند أول إِنارة للحق في وجوههم أو عقولهم...

وهناك أيضاً جانبُ التقليد المرضي المتعلق بملحدي الخارج؛ وذلك بأَنَّ ملحدي الخارج تطاولوا على الإِسلام بعدما تناولوا وتمادوا على ما عِندهَم وتجاوزوه لعجزه لديهم في مجتمعِهم وتراثهم جراءَ ما أَلَمَّ بهِ من تحريف وتخاريف حالت أن يصدهم بها بالقوة الملازمة للحق، فاتجهوا بعداءهم إلى الإِسلام لأَنَّه مَطمَعٌ كبير وفوز عظيم لشخصياتهم المريضة، فكان من ملحدي الداخل أن خَطَو خُطوات هؤلاء استشعارا منهم بالنقص فأرادوا لهم مرجعية فكرية فأخذوا الظلام عنهم ويا ليتهم نقلوا ما يفيد بل كانوا ناقلي مرض بمحض اختيارهم...

***

العقلانيون

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج:46].

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [يونس:39].

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك:10].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:43-44].

قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:29].

العقلانيون هذا الاسم الذي ينتحل البعض وينتسبون إليه انتساباً زائفاً لتمرير عدائهم وسوءِ أفكارهم لا بُدَّ لنا أن نقفَ عنده قبل التشخيص لهؤلاء وتحليل أمرهم، وأَنْ نقول: إنَّ العقلانية والتفكير الصحيح جانب ممدوح ووجه مشرق ومطلوب من وجهة النظر الشرعية، فقد خاطب الإِسلام العقل كجزء معتبر اعتزَ بهِ وأكرَمَه وارتقى به إلى المنزلةِ التي تليق به طالما كان في إِطار الحق والتسليم للمُشَرِّع، وقد خوطب العقل وصاحبهُ في الإِسلام ليكون مدركاً وواعياً لشؤون الحياة والمقررات بعد أن وُضع ورسم له المنهج الصحيح الذي يسير عليه وينظر من خلاله، وهذا الرسم وذلك التوجيه هو غاية الاعتبار ومنتهى الإِحاطة به، فثناء الشرع على العقل وحُسن الاهتمام

به وإِعْمالُه ظاهر بَيِّن، وإِعْمالُهُ في بذل وِسعه بالتَفَكُر والتَدبر ملحوظٌ دلائله ثابت في مصادر وأصول الإِسلام، ولم يكن من جانب الإِسلام أن عَزَلَ العقل وألقى به بعيداً أو قام بتجميده وآيات الله الكريمة لزاخرة بالمعاني الحكيمة والدلائل العديدة على تكريم العقل وإعماله، وإِنَّ اعتبار العقل مناطاً للتكليف هو بروز واضح لأهمية العقل ودوره، فالعقل عِندَنا نحنُ أهل الإِسلام شاهد، ولا تعارض عندنا بينَ العقل الصريح والنقل الصحيح، ولهذا وجب التنويه انَّ إطلاق مسمى العقلانيين ليس دقيقاً من ناحية التوصيف المعرفي بهم وإِنَّما بخباثةٍ ممن استند على سور العقلانية أراد ان يجعلَ الناظر لمخالفيهم وكأَنَّه يضرِب العقلانية ويضربهم معها فتتشتت بذلك النظرة وما مقصدها وهذا وإن كان يسري على من جهل أمرهم لكن ضلال حالهم وضحالة عقولهم أكبر من أن يخفيها ما يحاولون أن يستتروا خلفه فَعُرِيُّهُم لا يستره ما يلقون به من شبهات أو ما يحاولون به من تمرير أجندات.

ولنعد لشخوصهم ولننظر في أمرهم، فإِنَّنا لو بحثنا في مجريات الزمان وأحداث أسلافهم لعرِفنا من أين يستسقون كثيراً من أفكارهم وعلى ماذا بَنَوا أعمدة اعتقادهم، فأول شيء من جذورهم هو نظرةُ بعض الفلاسفة القدماء من يونانيين وغيرهم إلى العقل وكيف تعاملوا معه فقد أعتمد القدماء ممن تشربوا أفكارهم أنَّ العقل هو جوهر قائم بنفسه وأنَّه يجبُ اعتماد التفسير العقلاني لكل شيء وأن يُمرر الأمر على قنوات العقل ومنه يتم الإثبات أو النفي في القبول فما كان متوافقاً يُأخذ به وما لم يعتمده العقل فَيُطرَح أو يُؤوَلُ تأويلاً عقلياً، فكانت تلك النظرة بجعل العقل بمرتبة الحاكم على الأشياء والمصدر الأول في الأخذ أشبه ما تكون بالتقديس للعقل واتخاذهِ إلهاً مُشرِّعاً فاصلاً في التحكيم مخرجاً للألوهية من ميادين الفكر والحياة، وإِنَّ هذا الضلال في الفِهم وسوء التقدير بجعل العقل في هذه المرتبة هو دليل على وجود عجزٍ ملازم لمعتقداتهم التي نزعوا منها الإيمان والتسليم للشرائع السماوية ويُفهم من ذلك أنَّ الغيابَ لامتثالهم لأيِّ رسالة سماوية أو السير على منهج حق جعلهم فاقدين ذلك التوازن لفهم الوجود

والحياة والغيبيات والغاية المثلى وبإعراضِهم ذلك وبما تخبطت به نفوسهم وحارت عقولهم نَصَّبوا العقل ليخرجهم من حيرتهم ومع ما فعلوه فما ازدادوا إلّا تيهاً وحيرةً وتخبطاً؛ فالعقل ليس له سبيل من ذات نفسه على كثيرٍ من الأمور من ادراك كنهها ولا حتى بفهمها أو حصرها، فبذلك فالعقل عندهم أصبح أداةً أُسيءَ استخدامها ووضع عندهم في مكان لا يصح له ولا يَقدِر عليه وذلك واضح في التباس واضطراب فلسفاتهم ليعوضوا النقص في ادراك المحيط وما زادوا إلا ظُلمةً على إخلالٍ في الفهم وتَبَيُّنِ الحقائق والأصول وكمال الغايات والحكمةِ من الإيجاد وما بعد ذلك والذات وأسرارها وأسرار الكون المحيط ونشأة الحياة وغير ذلك الكثير الكثير...

وهنا سؤال حَقَّ أن يُطرح، فهل قديماً في عصر الفلاسفة المؤسسين لهذا الفهم العقيم هل كان العوام وهم الأكثرية آنذاك عليهم أن يكونوا فلاسفةً أيضاً ليخرجوا من تيههم أم وجب عليهم تقديس عقول فلاسفتهم وإنابتهم في الفهم عنهم، بمعنى هل هناك احتكار على المُخرجات العقلية على فئة تحمل القدرة لدرجة التحكم بالآخرين من وجهة نظرها وتجربتها الذهنية؟!

وهنا سنقفز في الزمان، وننظر لمن تشرب أفكار من ذكرنا تشرباً حتى الارتواء وهم فلاسفةٌ ومفكرين إدَّعَوا العقلانية والتنوير في العصور الوسطى وما بعد ذلك من أوقات في أوروبا، وذلك وإن كان يحمل جانباً من التبرير بنظرهم وبأَنَّه يوافق حالَهم لمّا لجأوا إليه إلّا إنَّ ذلك من أمرهم وإنَّما نحن نُبَيِّنهُ لنفهم سلسلة التوريث لبعض تلك الأفكار وصولاً حتى تَلَقفها بعض مدعي العقلانية في زماننا الحاضر فتكون الصورة واضحةً مفهومٌ أصولها وجريان تيارها.

إنَ عصر الحكم الكنسي أو عصور الظلام وبغض النظر عن التسميات لتلك الفترة إلّا أنَّها ذات وجهٍ أسود في العلاقة بين المجتمع من أفراد ومفكرين واقتصاد وحياة اجتماعية مع الكنيسة ورجالاتها ففي تلك الفترة تحكمت الكنيسة من خلال سياستها التي تنتهجها وبسطوةِ القائمين عليها على مقدرات الشعوب ونظام حياتهم، فَسَيَّرت

المجتمع تحت ظل أنظمتها وفهمها للأمور بانِيةً طموحها ومصالح شخوصها على حساب الجميع، فكانت الزيادة الفاحشة في أملاك ومقدرات المتنفذين صورةً عاكسة لفقر وعوز الشريحة الأكبر من الأفراد والطبقية الظاهرة والمُسيطِرة قسراً على المجتمع، ومما استخدمه رجالات الحكم وشركائهم من رجال الدين غير السطوة والجبروت على الشعوب أن جعلوا الستار الديني غطاءً لأفعالهم ومانعاً من الخروج عليهم لِيَبقَوا محتفظين بما استحكموا من المقدرات ومستقرين في ذات الوقت في مناصبهم ونفوذهم، ومما اتبعوا أيضاً لإحكام سيطرتهم أن جعلوا العقل خاضعاً تحت حكمهم بحجّة أنَّ الخضوع لهم كرجالات دين هو خضوع واجبٌ للوحي ومن تعاليمهِ الواجب الامتثال لها بلا اعتراض، والاعتراض عليه هو خروج عن أمر الدين ويترتب عليه ما يترتب عندهم من عقوبات أو طرد من الرعاية والغفران، وبهذا الاخضاع وهذه النظرة للعقل تبلورت فكرة العداء للدين من قبل من انتسبَ للعقلانيين وذلك لِما حصل من تصادم واسع بين رجالات الدين وبين طبقة الشعب والمفكرين، فأفكار ومعتقدات الكنيسة القائمة عليها عِلماً وعملاً أحيكت حياكةً مصلحية لتحقيق المآرب والتوسع في الجلب وإخضاع الغير والتحصيل على حساب قوت الأفراد وعقولهم وإنَّ التحريف فيما بين أيدي رجالات الدين وكان قديماً أو بما زيد عليه في وقتهم كان مسبباً لذلك القصور الذي يَحُسه الجميع ولا يعطي أيَّ درجة مقبولة لتلبية تحسين واقع الحياة أو نُظِمها مع تجميد العقل والذهاب به كعدو يُحاسبُ عليهِ مُشغِله من قبل السُلطة الكنسية ورجالاتها مع ذلك الحِنق والافتقار الشديد في الاستشعار الإيماني لنقص الثقة في النفس بما تواقِعُه من سوء معيشة وتدني قيمتها عند الآخر من رجالات الدين والسلطة، وهناك أيضاً الخلل الروحاني والاضطراب الوجداني الناتج عن ذلك الطريق الإيماني الذي يتخلله الكثير من النواقض والاضطرابات والخَلَلْ في السلوكيات بين المطلوب والظاهر من قبل القائمين عليه، ونتيجةً لتلك الحال القاتمة واستغلال الدين لتعطيل العقل ووأد العلوم والحريات تمت تلك الثورة الجارفة على الكنيسة ورجالاتها وتم

سحب البساط السُلطوي من تحتهم وتحجيم فعاليتهم وتأثيرهم على المجتمع وخرج اندفاع موازي لقوة الثورة وهو مناوئ للدين رافض له ويعتبره سداً مانعاً للرقي المجتمعي ومعطلاً للعقل والعلم وتياراً عكسياً ضد النهضة فكان هناك الأثر الواضح لتلك التجربة عند المفكرين والعلماء ومن مَلَكَ قدراً من العلم بأنْ اتخذَ بديلاً عكسياً تماماً عما له علاقة بالوحي أو بالدين فوجدوا ضالتهم بالفلسفات القديمة وما أُستحدث من نظريات والتي ترفع من العقل وتجعله حَكَماً ومَصْدَراً وانحازوا للعقل على حساب أيِّ طرف كان ينتسب للدين فلا مجال بنظرهم من العودة لتلك الحقبة المظلمة التي أطفأت العلم وطمست العقول، وهنا خرج الكثير من الثائرين ليس بسلاحهم بل بأفكارهم الجديدة والثورية والتي اعتمدت على العقل واعتباره هو الطريق للتحرر والعلاج لجروح الماضي والوقاية من الوقوع بها مرة أخرى، ومع اطلاق أسير العقل عندهم وحصول هذا الانفجار الثوري في النظريات والأفكار وتبني الفلسفات العقلية لإصلاح الوضع خرجت العديد من الأفكار والمدارس الفلسفية والتوجهات العقلية والتي استقبلها الناس كبديل لما لم يجدوا فيه ضالتهم بزعمهم فلقي رواجاً واسعاً وقبولاً كبيراً وبذلك بددوا ظلام فترتهم وعزلوا الدين عن الحياة وأعملوا العقل مكانة واعتمدوا العلم والتجريب هو القياس والعماد للتقدم ولإدراك التطور الحضاري دوناً عن أيِّ قيود قديمة. ووجب هنا أن نذكر أمراً ليس ادعاءً من عندنا كأهل إسلام بل حقيقة يقرها كل منصف ومحايد، انهم ذهبوا إلى كل مورد من العلوم والحضارة ليغترفوا منه ما يروي عطشهم الشديد للعلوم والمعرفة فأخذوا عن الإِسلام كحضارة وتراث وعلوم وأنظمة الكثير من طرف الاندلس القريبة عليهم ومما اجتهدوا بتحصيله من خلال الترجمات والبعثات والمستشرقين وأخذوا من المعارف القديمة والغير الإِسلامية طبعاً ما يؤصلوا به أفكارهم ويدعموا اتجاههم بعد إتيان هذا المولود الجديد التي تمخض من رحم المعاناة والاضطهاد، ولكن للأسف فيا ليتهم أخذوا عن الإِسلام هدْيَهُ وشريعته ولم يختصروا على أخذ علومه وأشكال تقدمه وحضارته ولعل

تجربتهم السابقة استحكمت في مشاعرهم مع رواسب امتلأت بها عقولهم حول الإِسلام وهي مغلوطة مبثوثة سماً فكرياً حول الإِسلام من قبل الدولة والكنيسة عندهم فرفضوا بذلك كل ما هو دين، وقصورهم هذا عن تناول الحق دليل على أنَّهم مشوَشين لم يستطيعوا أن يميزوا الدين الحق عما كان بين أيديهم من تحريف فرفضوا كل شيء، وإنّي لأتعجب منهم مُنكِراً عليهم بما فعلوه بعدما استناروا من علوم الإِسلام وأمهات معارفه وأشكال حضارته واختراعاته فإنَّهم بدلاً من الشكر للإِسلام والمسلمين قاموا بعكس ذلك تماماً، فوجهوا المستشرقين والمُستَأجرين عيوناً لهم ودارسين لواقع الإِسلام ليس لمزيد علم يكسبونه بل تمهيداً لغزوهم واستغلال مقدراتهم وهذا إن دَلَّ فيدل على سوء التربية الأخلاقية والعقلية التي جنحوا إليها وانَّ استعارهم قائمٌ على المادة والرفاهية الاجتماعية دوناً عن المكاسب الاخلاقية الأصيلة، ونتاج أعمالهم وإن بدأ بالتحسن كسلوك في نظام العموم الإنساني إلّا أنَّه فقيرٌ للتوجيه الأمثل ولا يزال يحمل لوقتنا هذا تفاوتاً في الحُكم على الآخر وأصوله؛ لأنَّ منابتهم قامت على أرضٍ محترقة أخلاقياً وسلوكياً معادياً أو رافضاً للوحي وثِمار أفكارهم وجل ما يدعون إِليه دليل على ذلك وملاحظ.

ونأتي الآن لزماننا لنرى فيه هؤلاء العقلانيين والذين هم بلاءٌ من البلايا المستحدثة، فنعلم مما ذكرنا باختصار وبلسان حال وكلام ما هو موجود الآن ما هم وماهية شخوصهم وعقولهم وكيف أصبحوا ناقلاً للمرض إلى الجسم الإِسلامي وذلك بأنَّهم عبارة عن عقل مشوه جامع للقديم من الفلسفات الخالية من التوجيهات العلوية ومعتمدةً العقل كمرجع مقدس لفهم الأمور والحقائق وجامعاً لأطروحات وفلسفات العصور الوسطى وما بعدها من الغربيين والتي تحمل في طياتها عداءً للدين واعتمدت العقل حاكماً وحَكماً ومشرعاً لنظم الحياة وتوجهاتنا وفهمها، ولا بد من الإشارة إِلى أنَّ من عقلانيين هذا العصر ممن نسبوا أنفسهم للإِسلام ليسوا كُلَّهم على شاكلةِ أجدادهم العقلية بذلك الشكل القديم والمبارِز بالرفض التام بل هم هيئةٌ جديدة إمّا مستقلة بفهم

عقيم او مُتبناه ممن أَكَنَّ العداء للإِسلام والمسلمين فهم نسخة مستحدثة من العقول المنفلتة والتي استقلت بذاتها ونَصَّبَت عقلها مرجعاً وأسقطت ذلك على الدين بجعله حاكماً عليه ومفسراً له بما يوافق أفكارهم وأفكار أسيادهم أو من يُنفِقُ عليهم، فهؤلاء المختلين أرادوا أن يعتمدوا العقل سبيلاً للحاق بركب الحضارة الغربية وأن يَعتمدوا في فهم الأصول والنص الإسلامي على تأويل يأخذ منحنى عقلي يناسب ما يودون أن يمرروه ويخدم مصالحهم وغاياتِ من أَرسلهم أو مَوَّلهُم أو ممن انقادوا إِليهِ طواعيةً طمعاً لتحقيق بريق الحضارة المزعوم والتقدم المادي الملاحظ، فيفهم من ذلك أن العقلانيين منهم من خرج عن طور الدين بالكُلية واعتبرهُ غير قادر على استيعاب الواقع، أو كونِه سبباً في التخلف المادي والحضاري، ومنهم من تعدي وتجرأ على الطعن بالإِسلام والثوابت وأنَّها تتعارض مع العقل ومُحجِّمَةً لقدراته، ولهذا فَكِلا الطرفين ممن ترك الدين أو تطاول عليه إنَّما كان مقياسه مصلحياً ينتفع به، أو قاصراً لخلل لديه أو عاجزاً أراد تبرير أمره بما هو كائنٌ عليه من ابتعاد وإنكار بدلائل تخبطات عقلية لا تستقيم أو كونه كارهاً للدين فتعدى عليه.

إذاً فَيُعلَم مما سبق أنَّ انتماء هؤلاء ممن زَعموا العقلانية وهم ليسوا من أهلها نابعٌ من خارج الواقع الإِسلامي ومعتمدٌ على المنجزات المادية والغربية مقياساً في النجاح والطموح وهدفاً للوصول القائم بفهمهم على الأخذ بالإصلاح العقلي لتصحيح الفِهم العام وتعديل ما يندرج تحته وتنصيب العقل حاكماً فعلياً وكل ذلك مستمدٌ لديهم من روافد الفلسفات الهالكة أو التجارب المناوئة للدين عند غير المسلمين، وإنَّنا لنضع هنا سؤالاً حق لنا أن نطرحه عليهم والذي بناءً على جوابه نأخذ إقراراً منهم على بطلان أمرهم وتأكيداً للباحث عن الحق ومن كان عليه ان يعرف ما هو عليه، والسؤال مأخوذ عن فهم عقلي منصف ليكون فيه احتكام لهم إن أرادوا العدل والإنصاف وإلّا لازداد علمنا بما تَيَقَّنا ما هم فيه من باطل واضطراب، والسؤال أيَّها المدعيين للعقلانية في النظر والتحاكم، فعلى أيِّ عقل تحيلون أمركم وعلى أيِّ عقول ترجحون أقوالكم؟

فإنَّ المُتَتبع لأمركم وسيرتكم ليرى تركيبةً من الاضطراب والتعديل العاجز والزيادة والحذف القاصر والعجزَ في كثير أحوالكم، فأَصلكم الذي نصبتموه حاكماً هو في ذاته ناقص ومفتقرٌ إلى غيره ومؤقت غير دائم يتأثر بمحيطة تأثر العاجز الذي يرضخ لغيره، وفي كلامكم حُكمٌ على أنفسكم فأنتم كثيراً ما تعارضون بعضكم وتتضارب أفكاركم وتَدَعونَ بعضاً كل حين، فَأليس الأولى فيما يُعتمد حاكماً ومقياساً أن يتفرد بالثبات والحفظ والكمال في الأصل والطرح وأن يكون واحداً غير متعدد وأين هذا عندكم؟!

فرموزكم كثيرة وتعاملتم مع عقلكم والهوى كإله فكم إلهاً عندكم تحتكمون إِليه، أوَ ليسَ هذا التعداد العاجز وهذه الفلسفات المريضة والتي حمل بعضها صفة النرجسية المرضية والطبقية المقيتة دليلاً صارخاً أنَّ هذه الطريق التي تسلكونها وتريدون من الآخرين سلوكها مغلقةً لا يصلح المرور منها فكيف تكون طريقاً لإصلاح الغير، فمالكم كيف تحكمون.

ولماذا لا تُحَكِّمونَ عَدلَ عقولكم لما فيه خير دائم وأصل ثابت وكمال متفرد ووحدانية من الموجد لا تتأثر بغيرها، ولكن سبحان الله أبيتم إِلّا الضلال وإتباع الهوى واغلاق إفهامكم إِلّا على ما تريدون ونجدكم في قول ربنا:

﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾ [الملك:10].

ونقول ختاماً إنَّ هذا الدين الكريم والذي يعتمد على الوحي ويأخذ بالأصول لم يهمل العقل او يتعارض معه بل أكرمه ووجهه لتحقيق الغاية وجعله شاهداً، وإنَّ قصور العقل عن ادراك شيء لهو راجع إلى ذات العقل بالقصور عن الإِدراك لعدم قدرته لأنَّه ليس مما يَقدِر عليه أو يحيط به أو لغياب مقدرات فهمه واجتماع أمره؛ فالعقل وعاءٌ يجمع ما يأتي من الجوارح وما اكتسب من آخرين والقدرات في ذلك متفاوتة متباينة ولهذا وجب على العقل ان يتبعَ منهجاً وطريقاً يرشده ليتحصل بهذا الاتباع والارشاد كمال المقصود أو تمام أمره وفق الوحي، وبناءً عليه فلا يصح عقلاً ولا عدلاً

أن يكون العقل حاكماً بل الحق ولا غيره أن يسير العقل مُسلِّماً أمره لشرع ربه متأمِلاً متدبراً مفكراً في عظيم قدرته وبدائع حِكمته ودلائل وحدانيته، فسبحان ربنا وبحمده الذي خلق كل شيء بقدر ووسع كل شيء عِلماً.

***

الحداثيون

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام:21].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل:105].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [العنكبوت:68].

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة:32].

إنَّ مختصر التعريف للحداثة بعمومها مع وجود ذلك التعدد الظاهر لماهية تناولها المعتمِد على الجانب الذي تتحرك فيه فكرياً كان أو مادياً أو اجتماعياً ...الخ ، فَإنَّها توجه فكري قائم على ذلك المجهود والحركة الفكرية والنقدية التي تدعو الى التجديد والثورة على القديم في هيئة حرية عقلية غير مُقَيَدَة وأطروحات بعيدة عن الارتباط بالتراث وقوالب الأصول والثقافة السائدة المتواتِر الأخذُ بها في المجتمعات الاسلامية.

و إنَّ هَمنا هنا هُمْ شُخوص وعقلية الحداثيون الذين تناولوا بجديدهم التالف التراث الاسلامي، وظهروا حديثاً بتركيز واضح في المجتمع الإسلامي، والذين هم صورة تعكس اتجاه وفِكر بعض مثقفي الغرب الذين تعاملوا مع النصوص المقدسة كنصٍ قابل للتأويل والأنسنة (الاعتماد على الإنسان فقط في الفِهم والقياس)، فبعد التجارب المتصادمة في الغرب انطلاقاً من فترة الثورة في العصور الوسطى وحتى وقتنا، فقد ظهرت عندهم العديد من الدراسات والنظريات التي تتعامل مع الدين كجزء ثانوي وتجربة تاريخية تعلقت بزمانها ولا يصح الأخذ عنها كمصدرية وأساسٍ في الاعتقاد والتناول العقلي أو البناء المجتمعي، ولمّا تعددت تلك المفاهيم وازدهرت لتبنيها من قِبَل رواد الحداثة والتنوير وأفراد المجتمعات الغربية نتيجة تلك الرواسب

الذهنية والانطباع عن التجارب والأزمنة والتي كانت فيها السلطة للدين فخرج حينها الكثير ممن حَيَّدَ الدين عن المجتمع وعن الأنظمة البشرية فيه، وتناولوهُ على أكثر من وجه، فمنهم من ألغاه بالكلية ودخل في أحلاف العلمانية أو الإلحاد أو الإنكار، ومنهم من حَيَّدهُ وجعله جانباً شخصياً متعلقاً بالفرد ليس له شأن بالعام، ومنهم هؤلاء مَقصَدُنا وهم من أراد ايجاد التعديل لوجهة النظر للدين وآليةِ اعتباره فخرج من تلك الحقب من دعا إلى الحداثة وفَهمِ النص والتراث الديني بناءً على الفِكر والمفهوم الجديد، وهنا نفهم أنَّ تلك التجارب المهترئة في الغرب كانت هي مصدر الوحي الفكري والقاعدة التي عَمِلَ عليها حداثيون عصرنا والذين ينسبون أنفسهم عادةً للإسلام ويزعمون أنَّهم أتوا بما هو جديد ومستحدث والواجب بنظرهم إتباعه وإعْمالُهُ في التعامل مع التراث الإسلامي والأصول التي يقوم عليها الإسلام، فهم يريدون إسقاطَ التجربة الحداثية الغربية على الواقع الإسلامي وجعلها مُتَبناه وذلك أملاً عندهم بتحصيل ما حَصَّله أسلافهم فيما وصلوا إليه من علو حضاري وفهم إنساني وهذه التخبطات وتلك الأعراض التي أُصيبوا بها بعدما أصابهم مرض أسلافهم أرادوا نقلها لبلادِ وعقول المسلمين وإنَّها بكذبهم هي التجربة الإنسانية والحديثة التي أثبتت نجاعتها، فأخذوا بالثورة والتمرد على التراث الإسلامي وتعاملوا مع النصوص بطريقة وفِهم لا يعترفُ في القداسة الملازِمَةِ له والعِصمة الأصلية واعتبروه كنصٍ قابل للتعديل أو النقد وإن التجربة الإنسانية هي المعيار الأوفى والاستمرارية في التطور والتحديث في التحصيل المعرفي والأنسب في الاعتبار والبناء، وبعبارة أخرى فهؤلاء الحداثيون الذين ينزِعون إلى التقدمية أو التحررية والتحديث للماضي ووضعه في صورة قالب حضاري حديث الفهم والأخذ، إنَّما هم نَتاجٌ للتعلق بالغرب وأُطروحاتهم مع نفاقٍ في القلب وغياب القواعد الإيمانية وقُدسية الأصلِ لديهم مع ما يحملون من ثقافة عامة تعلموها لا لخير بل تجميعاً ذاتياً غير قائم على مناهج وقواعد شرعية، فاغترفوا عن كل أحد وقلدوا كل أحد واعتقدوا بذلك أنَّهم وصلوا بالاجتهاد المُستَحدَث من خارج الفِهم

الشرعي ظناً من عند انفسهم أنَّ لهم القُدرة على تصحيح الثوابت وما اجتمعت عليه الأمة من تتابع وحفظ وكفاية ذاتية وقد ساعدهم في ذلك أنْ غرتهم أنفسهم بوحي شياطينهم وغَرَّهُم من تبنى فكرهم وتبناهم معها وَقدَّم لهم المناخ المادي أو التقديمي لبث ما يعتقدون ونشرِهِ على أكبر قدر ممكن في الشرائح المجتمعية والأماكن الإعلامية فتراهم يَتَصدَّرون بعض القنوات الإعلامية ويتجرؤون بطرح أفكارهم وتَجدُ كتاباتهم وأفكارهم مُتبناه وميسرٌ لها في العديد من دور النشر والمراكز الثقافية والذي يفهم منه واقعاً ملموساً أنَّ أدوات العداء للإسلام تساند بعضها بعضاً وتُيَسِر لبعضها تنفيذ ما يُأمل من تحقيقه في المراد العام.

والحداثيون إن صحَ قولي عنهم فهم ظاهرةٌ مرضية وفيروس ثقافي عقلي يصيب الفهم العام لإدراكات ومفاهيم التعامل مع الأصول لإيجادِ دينٍ ممسوخ يتوافق مع ما هو خارج الإطار والفِهم الإسلامي، وإنَّ المتتبع لبعض هؤلاء المُستَأجَرين ليجد أن منهم من كان في حالة صدمة مع موقف فتجرأ على كل شيء وأصلِ كل شيء والتحق بركب الغربِ ومفاهيمه، ولو كان عاقلاً مستنيراً كما يَزعُمْ لَصحَحَ ذلك الموقف وأبدى نقاء الأصل وليس كما فعل بأن بَرَرَ ما أصابه بأَنَّه ناتج عن التعامل مع الأصل وقصورُ ذلك الأصل سبب في حدوثه، وهناك منهم من تأثر بالآخر من غير المسلمين فتبنى فِكرَهُ وأراد تقليده وكأنَّه هنا بلغَ من الغباء بمنزِلةٍ أنَّه لم يقدر أن يَعقِل أنَّ هنا أرض إسلام ودين إسلام وتجربةَ إسلام والتي حملت معها كل خيرية وعلواً في التقديم وإدراك المحيط وتَنظيمِه وفقَ أمر علوي ومنهج كامل لا دخل لليد البشرية في إيجادهِ أصلاً، وإنَّ من أخَذَ عنهم تتابع في التجارب بين الاستغلال للدين والنفور عنه أو تحييده فكيف يمكنهم أن يتدخلوا في أمر علوي ويطرحوا ما عند غيرنا لقصور عندهم وتحريف لما بين أيديهم ويجعلوه كحالنا أليس هذا من غياب العدل وغياب الإيمان، وهناك ايضاً فِئة منهم ما هم إلّا عبارةٌ عن عقل وقلمٍ مُستأجر يُؤمر به فينفِذ فأينما يوجهه أصحابه يتكلم ويَجترأ، فكان هذا من داعميه خروجٌ من الصورة ووضع من

يَنتسِبُ إلينا بأنَّه يهتم لأمرنا وَوَجهٌ حديث في فهم الدين، هذا الدين الذي هو عِصمةُ أمرنا ومحفوظ من ربنا فبئس ما يكيدون وبخبث عقولهم وسرائرهم يفعلون.

فالذي نريده وهو الحق ليست الحداثة بإيجاد دينٍ تابعٍ للإنسانية فَهماً وتعاملاً يقبلُ ما يوافِقُها بنظر عقول أصحابها أو يوافق النظريات القاصرة الجديدة فهذا ليس بدين بل هو خليطٌ مُستحدث ليس لنا حاجة به ولا بمن يرضاه، وإنَّما الحق لمن أراد ان يخدم المسلمين إن حقَّ جُهده ونيته أن يجدد النشاط والفعالية في الرجوع إلى الدين وامتثال أمر رب العالمين ونشر الدعوة وتعريف الناس لمنهج رب العالمين وفق ما أمر ووفق مرادهِ سُبحانَه من خلال أصوله من القرآن الكريم الذي لن يصيبه ولم يصبه أمر مما يكيدون ووفقَ سُنَّةِ وسيرة نبينا الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم وبِفَهمٍ عَنْ أولِ من وردَ مورد الدين عليهم الرضوان أجمعين، فهذا ما نريد وهذا هو الحق وغيره باطل وما هؤلاء الذين تطاولوا إلّا أُناس بقلوبِ شياطين أو إنَّهم منافقين.

بث حزن:

مما يزيد القلب كمداً والعقلَ حيرةً فئةٌ خرجت قلما تَجدُ لها قراراً أو تعرف لها نسباً أو تضعها في قوالب التعريف والبيان، وليس هذا لضعف الرائي أو الناقد بل لميوعة وشوائب المرئي والمُتكلم عنه، فهذه الفئة هي مزيجٌ متباين من سقيم الأفهام وأخلاط العلوم والكلام، ليس لهم قرار ولا هم في طرحهم أحرار بل منقادين لمتشابه الأفكار، يجادلون بغير علم ويتكلمون بغير فهم، تائهين وناقلين الحيرة والتيه لغيرهم، هم جمعٌ جمعَ نتفاً من شتى العلوم غير ملتفتين قصداً أو جهلاً لعلو المصادر أو صحيح الصادر ويتكلمون في شتى الفنون وليس لهم مرجعٌ ظاهر، يأخذون جزءًا ويبنون عليه الكل، لم يرتفعوا إلّا بشبهاتهم وجراءة أفكارهم والمصيبة أنَّ منهم من كان ينسب لأهل الإسلام ويؤدي الفرائض لكنه مُشوشٍ على أهلِ الدين مُلبِسٌ على الناس حياتهم، تراهم فتعجب من أمرهم وطريقة طرحهم، يدخلون في أبواب المتشابهات والغرائب ويجعلونها بما مالوا إليه من المُسلَّمات ويرموا معها معارضيهم بالفلتات وضعف

الادراكات، وهؤلاء لا أعرف حقيقة أين أضعهم في أهل الكلام أم الفرق المائلة أم العقول التائهة، وإنَّك لترى منهم بين الفينة والأخرى فَتعجَب مما ترى وتحزن لمن هذا حالهم، وكوصف أدق لحالهم فهم أشخاص منفردين ليسوا على جماعة أو متحدين على مبادئ وقوانين بل هم أجسادٌ تحمل عقولاً جمعت من هنا ومن هنا فأصبحت تناظر وتضرب بآرائها الآخرين فتارة تجذبك أفكارهم وتارةً تصدمك خيالاتهم، والحقيقة أنهم ليسوا على شيء، لكن خطرهم بما يوقعونه على العامة وما ينشرون في قنوات التواصل وبمساعدة من تبنوهم إعلاميا وتقديماً من تلك المُستحدثات التي تترك أثراً على البعض ممن كان قليل المتاع من العلم، وأعود وأقول فهذه الشخوص الفكرية السائبة ممن لم تجد لها قالباً مُؤصلاً ولا توجيهاً مُعلماً فما هي إلّا فَلتاتُ أذهان اعتقدت أنَّها شيء وما هي إلّا فقيرةً تجيدُ مسألةً وتتعرى في الكثير، فلا يصلح الأخذ عنهم ولا أن يُسجلوا في دواوين العلم والعلماء فالحذر منهم ولا ينصح بمجادلتهم لسقيم أمرهم وضحالة فكرهم وما قد يتركوه من أثر سيء وشتات حال، ولو كانوا على خير لرجعوا إلى أهل العلم فاستقامت قناتهم لكنهم مالوا واتخذوا سبيلاً ليس عليه أهل الأصول ومقياس العلوم مما أجمعت عليه الأمة وكان الخير كُلُه فيه ...

***

الإسلاموفوبيا

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة:217].

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:62].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:175].

الإسلاموفوبيا مصطلح مُستحدث أوجده قاصداً من لا يحق له وأسقطه على من لا يستحق أن يوصف به، وهو صناعةٌ نفسية وأداةٌ عدائية أُستغِلَّت لمقاصد مناوئة للإسلام، وأصل المعنى لهذا المصطلح هو حالة الرِهاب أو حالة الخوف من شيء وتم ربطه بهذا الشكل لإيجاد ناتجٍ جديد مرتبط بالإسلام، فأصبح هذا المعنى الظلوم يعني حالة الخوف والكراهية المُوَجهة للإسلام، ونستطيع القول بأن هذا المفهوم المستنبت من واقع العداء والعلوم النفسية الهجينة من قِبَل الغرب أو من رأى في الإسلام عدواً متربصاً به هو اجتماع منهم على ايجاد وصفٍ وإلصاقهُ بالإسلام ليكون مرتبطاً به في المفاهيم العامة ومُشكِلاً قاعدةً ذهنيةً سلبية عن الإسلام لدى الأفراد في المجتمعات غير الإسلامية والتي تُستخدم حافزاً وممراً للقبول فيما يَصدُر عن أصحاب الأجندات أو القرارات، ولها وجهٌ ثانٍ في نفس السياق الوهمي بالخوف لدى الأفراد المسلمين ولكن ليس الخوف من الإسلام بل خوف بشكل آخر وهو ايجاد حالة الاضطراب الداخلي نتيجة تلك النظرة الجديدة للإسلام والتي تزعزع تلك الرابطة بين الإسلام وتابعيه ولذلك فهذه الظاهرة الجديدة من صناعة الخوف والتي أُستُقصِدَ بها الإسلام لم تكن عبثية أو غير مُسَيسه بل اتخذت منحى زرع ثقافة الخوف لدى الأفراد من تضخيم رد الفعل حتى وصل إلى نزوعٍ مرضي لديهم، وهذه الظاهرة تم تعزيزها من أصحاب الكراسي السياسية وبعض المراكز بِنتاجِ ما يَطرحونه ويُلقونَهُ في خطاباتهم وأُطروحاتهم

وكان الدور الأوسع والأقوى هو الذي وُكل به الإعلام فَأَعْمَلَ فيهِ قدراته وسعة ايصال المقصود وهيئتهُ المؤثرة فأصبحت بذلك هذه الظاهرة المُصطنعة لها حيزٌ واسع لدى أفهام الأفراد والفئات المستهدفة، وظاهرةُ زرعِ الخوف من الإِسلام ليست حديثةً في الإيجاد فعُمرها الزمني ممتد من ظهور الدعوة للإِسلام إلى وقتنا الحاضر وإلى امتداد الزمان ووجود الخير والشر، وبدايةً لها كانت من القبائل أو الأفراد ممن عاندَ ورفضَ الدخول في الإِسلام وإتباع المنهج الحق فأوجدت تلك الرافضة حالةً بدائية بالتشكيك بالجديد ورسم صورة مغلوطة عنه، ومع امتداد الأزمنة تطورت تلك الحالة من العدائية واتخذت مراتب أعلى في التوسع والزيادة في طعن الإِسلام وتشويه الصورة وتلفيق الاحداث التي ترسم صورةً ذهنية سلبية ومنفرة عن الإِسلام، وتراث المستشرقين ومن قبلهم من رجالات الكنيسة وإبان الحروب الصليبية شواهد على تلك الصورة التي يحاولون لصقها بالإِسلام واعطاء صفة العدائية والبدائية والشهوانية لأهل الإِسلام ولتعاليمه والتي كلها كَذِبٌ منهم وافتراء وتعدي على الحق، وإنَّما أرادوا بث تلك الصورة كَمُتَمِم ومبررٍ لأفعالهم ضد الإِسلام، وأمّا في عصرنا الحالي فالأمرُ أخطر من الكلمات فالجهود المبذولة والسيناريوهات الموضوعة لترسُم الإِسلام وكأَنَّهُ وحش العالم الذي ينتظر الفرصة لينال من الجميع وأنَّه يجب تَقويضهُ والاحتراز منه، وإِنَّما كانت هذه المساعي لإيجاد تلك الصورة المُفتراه لم تكن وليدةَ اللحظة بل لها أسباب هي من أوجدتها ولها أطماع يُرجى تحقيقها فأما بعض أسبابها فأولها كثرة الوقائع والاحداث بين الإِسلام والغرب والتي يمتلئ بها التاريخ وتركت عندهم ذلك الحقد الدفين والممتد في كل حين ويظهر علانيةً وفي ممارسات الساسة والقائمين من مراكز وحكومات او أحزاب متطرفة عندهم ولنا شاهد حق نطق به الرئيس بوش حينما وصف ما يقوم به كامتداد للحروب الصليبية وهو موجود لمن أراد الرجوع إِليه، وشاهد آخر أقدمُ زمناً حينما أُحتُلَتْ سوريا من قِبَلِ فرنسا وذهب الجنرال جورو لقبر صلاح الدين الأيوبي (بطل معركة حطين) وركله بقدمه وقال: ها قد عدنا يا صلاح

الدين، وشواهد ذلك كثيرة وكلها تدل على ذلك الرابط القديم الذي يحمل صاحبه النزعة القديمة لعداء الإِسلام، ومن الأسباب أيضاً الجَهلُ بالإِسلام فاستسقاء العلم عن الإِسلام من أفواه الساسة المناوئين أو الأحزاب المتطرفين أو كُتُبْ وما وَرَّثَهُ المستشرقين يجعل الإنسانَ الغربي في وجسٍ من الإِسلام وخوف منه لما قد يترسخ لديه من أكاذيب وافتراءات زُرعت في فِهمه ونظرته حول الإِسلام وأهله، ومن الأسباب المهمة تضارب الغايات والمفاهيم والمعتقدات بين الإِسلام وغيره والتي توجد اختلافاً واسعاً في منظومة القِيَّم التي يتبعها كل فرد من الطرفين ولكنها تكون لدى غير المسلم سبباً في العزوف والإِنكار على الآخر من وجهات نظر قيست على تلك التغذية من السلوكيات والأخلاق التي نشأ عليها والتي يعارض الإِسلام منها ما كان مخالفاً لنهجه وشريعته وهي لدى غير المسلم سلوك واعتبار معمول به، وهناك أيضاً الصورة القاتمة التي وُضعت للإِسلام من قِبَلِ من عاداه والتي رسمت بأدوات بعيدةٍ كل البُعد عن الموضوعية والنزاهة والإنصاف وحتى بالإِحاطة بالمفهوم والطرح الإِسلامي المقصود بأي قضيةٍ يطرحها، وهناك السبب الأخطر وهي تلك الرابطة التي أُلصقت بالإِسلام وهو منها براء بأن جعلوه ظلماً وافتراءً منبعاً لأيِّ عملٍ إرهابي أو غير إنساني والتي هي أصلا عندنا يرفضها الإِسلام رفضاً كلياً ولا تتوافق مع منهجهِ أو تشريعاته، وإن كانوا يزعمون انَّ الذين قاموا بها يرفعون اسم الإِسلام وكلماته في أمرهم فهذا لا يعني ابتداءً أنَّ الإِسلام موافق لهم، وهذا ثانياً لا يعني أنَّهم صورةٌ لتعاليم الإسلام وطَريقُه وأنَّهم يتبعون منهجه، وثالثاً إنَّ جُلَّ هذه الأحداث المؤلمة التي قام بها هؤلاء كانت كردةِ فعل على التعدي والقسوة الغير مسبوقة على الإنسانية والتي مورست بحقهم أو لمن كان في محيطهم من قِبَلِ هؤلاء الزاعمين ونقول هذا ليس كمؤيدين في كثير مما يفعلون لكن وجب قبل ان يقولوا ماذا هؤلاء ارتكبوا وألصقوه كذباً بالإِسلام أن ينظروا لأيديهم ماذا فعلت وأيَّ مجازرٍ إِرتَكَبت، وشواهد ذلك في العراق وأفغانستان وجوانتاناموا وأبو غريب واضحة، وجرائمهم في عديدٍ من الدول العربية إبّان الاستعمار واضحة

تَبكي لها العيون وتحترق الأقلام ألماً حينما تَخُطُ أفعاله، وهذا من مُجمَلِ الأسباب وغيرها والتي أجَّجت تلك العدائية فاتخذوا من أدوات العداء الجديد المصاحب لأعمالهم تلك الهالة العقلية والتي تحقق لهم مرادهم وأطماعهم منها وهي على شقين في طرف المطلوب كما قلنا آنفا، عندهَم كأفراد مجتمعاتهم وعندنا كأهل الإِسلام وتابعيه، والتي يُقصد منها في الإجمال الطعن في رسالة الإِسلام والتشكيك في السيرة النبوية وبشخص نبي الرحمة بني الإِسلام عليه الصلاة والسلام، وايجاد نوع من التخبط الانفعالي المرتد سلباً على المسلمين لدفع تلك التهمة المفبركة عليهم وبالتالي الحصول على تنازلات أو تمرير أجندات إضافةً لإيجاد ذلك التنازع الداخلي في الدول الإِسلامية بين التيارات الإِسلامية ومخالِفها ممن تَتَّبع الغرب ويُعتَبر يداً له في تلك البلدان بالتبعية أو بالأجر والتي بدورها تعمل تلك الأدوات المستأجرة ببث التفرقة والتشكيك والدعوة إلى اعتماد الغرب ونهجه وقِيّمه وأُطروحاته سبيلاً للحاق بالصورة الحضارية الحديثة، وهناك أيضاً من خطير مقاصد تلك الكِذبة المُلفَقة ما يكون به سداً مانعاً يَحولْ مواطني البلاد الغربية وأفراده من الدخول في الإِسلام أو التعرف عليه وعلى حقيقته والأخذ من أفكاره، إضافةً بأنَّه يوجِد التفافاً مؤيداً حول أصحاب السياسة والقرار ودعمهم بالقرارات المُتخذة ضد أي طرف إسلامي ومثال ذلك الحي ما حصل في العراقِ مثلاً وكيف أبادوا البلاد والعباد بحجَّة وجودِ أسلحة شاملة وبعد انتهاك القرارات والجمعيات الدولية التي تزعُم أنَّها تحمي الإنسانية واحتلوا البلد لم يجدوا ما كانوا يَدَّعون وجوده ولنقف هنا متأملين حول هذا الحدث الأليم وكيف تم وما هي المُحَصِّلة فنفهمُ منها واقعياً كيف رسموا الصورة الكاذبة ونفذوا اعتدائهم وبان كذبهم ثم لا يزالون ينادون بالحرية والديمقراطية التي يستغلونها وبأنَّهم يدافعون عنها ضد الارهاب المحتمل.

وهناك أيضاً الكذب الصارخ حَولَ الآخر بتلك الصورة الوهمية التي يحاولون ترسيخها بأنَّ هناك علاقة بين صعود الإِسلام واندثار الحضارة الغربية، وأنَّه يجب منع

ذلك لتشكيلهِ تهديداً للأمن والقيَّم الغربية.

وأودُ أن أُشيرَ لأمرٍ في مضمون الموضوع، وهو بأنَّ تلك الظاهرة العدائية التي يسمونها الإِسلاموفوبيا أو العدو الإِسلامي المُحتَمل قد اشتد عودها وذكت نارها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في امريكا واخذت طابعاً أكثر حدةً وعلانية وقُيِّمَ عليها فِهماً لدى الآخر بأنَّ الإِسلام وأتباعه مادة واحدة ولا يتشاركون بالقيم مع الغرب، وأنَّهم تهديد للأمن العالمي، ومُعتَقدهُم واحد قائم على أفراد ذوي طبيعةٍ أقل شأناً من غيرهم ويتسمون بالطابع الهمجي والروحانية المُوجِّهة، وهذا كله ظلمات فوقها ظلمات وكذبٌ ومفتريات؛ فالإِسلام منهج أتى لِيُقَوِّمَ البشرية ويجعلها على الصراط المستقيم وعلو القِيَّم ومكارم الأخلاق وجمال السلوك والمفاهيم، وما هذا الكذب الأشِر من قبلهم إِلّا أداةٌ من عتادِ حربهم على الإِسلام، فالحذر الحذر مما يكيدون ولنجتهد بكل من ملك قلماً منصفاً أو عِلماً نافعاً أو منصباً أن يَدفع ما يفعلون ويُبَيِّنَ للجميع بلا استكانةٍ أو ذلٍ في الطرح أنَّنا لسنا كما يزعمون ونُعلمهم من خلال حُسن الكلمة ورقي الدعوة ما نحن عليه وما هو منهجنا الذي رضيه الله سبحانه للعالمين وما هي تعاليمه وأحكامه، ولنركز على الأفراد لأنَّهم هم من أصابتهم حُمّى الوهم الذي رسمه لهم قادتهم ومن يمكرون. ويكفي لنا أنَّنا على الحق سائرون ولمنهج الله مطبقون وعلى سيرةٍ بني الرحمةِ متبعون ولكل أجلٍ كتاب وسوف يعلمون.

***

عداء الفرق المخالفة والتي دخلت تحت ظل الإسلام

قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ ١٠٣﴾ [آل عمران:103].

قال ﷺ:«خيرُ النَّاسِ قَرني الذي أنافيه ثُمَّ الذين يَلونَهم، ثُمَّ الذين يَلونَهم، ثُمَّ يأتي قَومٌ تَسبِقُ شَهادتُهم أيْمانَهم، وأيْمانُهم شَهادتَهم» أخرجه أحمد.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾ [آل عمران:105].

قال ﷺ:«ألَا إنَّ مَن قبلَكم من أهْلِ الكتابِ افتَرَقوا على ثِنتَينِ وسَبعينَ مِلَّةً، وإنَّ هذه المِلَّةَ ستَفترِقُ على ثلاثٍ وسَبعينَ ثِنْتانِ وسَبعون في النَّارِ، وواحدةٌ في الجَنَّةِ، وهي الجماعةُ» أبو داود .

إنَّ الإسلام دين الله ورسالته للعالمين، وهي رسالةٌ ذات أصولٍ معلومة وقواعد محكمة، لا يأتيها الخلل من أي جانب كاملة الأركان دليلها القرآن وسنة النبي العدنان، لا يقبل الله سبحانه من يأتي بغيرها رسالة ولا يرضى سبحانه بغير منهج الحق الذي رضيه للخلق، فالإسلام دليلُ الحياة بكيفية التوجه إلى الله سبحانه بالعبادة وتنظيم أمرها وتوجيهٌ لكل خير ونهي عن كل شر، فالإسلام نور يَدُلُكَ على الطريق وما تحمل معك خلاله وما تترك وسالكه ناجٍ والمحيد عنه هالك، والإسلامُ نورٌ كافٍ من اقتبس منه عرف وكان على الحق، ومن أضاف من عنده بغير أصل منه فقد انحرفَ لهواه ولضلاله انجرف، والإسلام كاملٌ مُكَمِلٌ لغيره لمن كان حقاً، تامٌ لا يحتاج غيره، فيه كل الأصول والجمال والعلم والاعتدال، ويكفيهِ عَظمةً في الشأن وعلواً في القدر وسِعةً كافية وكاملة أنَّ الله سبحانه أنزلهُ ورضيه منهجاً وديناً للعالمين. فهل بعد ذلك عاقل يترك هذا الدين!

عندما بدأت الدعوة العظيمة واتبعتها النفوس الكريمة، حادت بعد زمانٍ عنها بعض الشخوص والفرق اللئيمة عن الطريق المستقيم فلم يكونوا كالصدر الأول الذين

تقبلوا بقلوبهم وأرواحهم مذعنين للنقل شاهدين بالعقل على ما استسقوه من النبع الأكرم والمعلم الأعظم عليه الصلاة والسلام فأطاعوا الله سبحانه وفق ما أمر، وعلى ما رأوا رسول الله ﷺ قال وفعل فكانوا مؤمنين وعلى خطى النبي سائرين، وبقي هذا النقاء في الصحابة الاصفياء ثم بعده ظهر من أراد العداء للإسلام أو من كان خَلَّط عليه الشيطان فأوجد جديداً ليس من الإسلام وألحقه به وجمع الخير مع غيره ونسبه إليه وأدخل غيره معه آخذاً عمن قَلَّ عِلمه أو دعت مصلحته ومنفعته فتاه، ومع امتداد الزمان كَثُرَ بعض هؤلاء لمّا وجدوا لهم من يؤيدهم ممن كان على شاكلتهم أو من أعْمَلَ عقله وقدَّم العَقلَ على النقل، أو من كان صاحب شبهةٍ فكانت شبهته هي مِحور كلامه ودائرةُ حياته، أو من كان زاعماً أنَّه على الحق وغيره ليس كذلك ونسي من سوء فعلته أنَّ من سَبقهُ كان خيراً منه فوجب عليه الإتباع وليس الابتداع، فالسابق موجودٌ عنده كل الأمر وصوابُه دلالةً وفهماً وتطبيقاً وأمّا المستحدثات التي أوجدها أصحاب الأهواء إنَّما هي طرق الشيطان وذهابٌ للإيمان إن وصلت لحدٍ قد يُقدِّم فيه المرء رأيه على مراد الأصول بما اتفق عليه الأوائل وكان لهم القبول.

والخطورة في عمل هؤلاء متعددة الأوجه فهي أول الأمر مهلكة لأصحابها بما أوجد من عنده تقديماً لرأيه واجتهاداً من نفسه بما ليس له أصل صحيحٌ مُعتمدْ ولا نقل صحيح من نور النبوة اعتمد، وهذا الجديد الذي قَدِمَ به منهي عنه وخروجٌ عن المنهج متوعَدٌ لصاحبه بالوعيد والعقاب الشديد وهو عليه رد وهذا لمن كان هذا حاله، فأمّا عن خطره المُمْتَد فهو إتِّباعهُ ممن قل من العِلمِ حِملُه وممن كثر في الهوى حُكمه وممن رأى أنَّ للعقل دون الأصل رَجْعُهْ وممن ترك المُحكمات وأبحَرَ في المتشابهات فألقى هناك مرساته، فلذلك كان صاحب الهوى والابتداع ضالاً في نفسه مُضلاً لغيره جهلاً أو قصداً من عنده وعند غيره، ومن أوجه الخطورة في هؤلاء ايجاد التقسيم في بعض الإفهام التي حملت الغث والسمين فأرادت التقريب فكان منها أن تَعدَّت واتَّبَعَ بعض العوام أمرها فأصبح عند البعض شيء من اللين لمّا كانت علومهم قليلةً في الدين، ومن

الخطورة أيضاً تلك الصورة التي تُعطى لمن أراد الدخول في الدين واتباع الحق اليقين فيجد تشعباً ليس له أصل وأطرافاً يعتقد أنَّهم على أصل فيتبِعُهم ويسلك مسلكهم ويعتقدُ أنَّه على الجادة ويدعو لما ينتهجون فيكون كطفلٍ تربى عندَ أسرةٍ أعجمية اللسان فيتكلم لغتهم ويرى أنَّها الأصل.

وإنَّ هؤلاء ممن مالَ عن الجادة من تلك الفِرق فإنهم ما خرجوا الّا نُصرةً للهوى من عند أنفسهم أو لكونِهم أداةً للعداء والتفرقة وإذكاءِ نارها وزاداً لحطبها ممن نصب العداء، ودليل ذلك الحي في عصرنا نراه فيما كان دعماً يُقَدمُ لهؤلاء من الغرب أو من في فلكه ممن اتخذ موقفاً عدائياً ضد الإِسلام فَقدَّم بذلك ورسَمَ الإِسلام على أنَّه بعض الفرق والتي وافقت مُراده وذابت في هواه، وليُنْظَر إلى تقرير مركز راند وماذا قَدَّم من توصيات في اعتماد من يصلح التعاون معه واعتباره الإِسلام المعتدل بنظرهم، ومثال آخر عن أَخطر من لهُ تأثير وهو ظاهرٌ فيمن يُسمون الروافض أو التطرف الشيعي والذين أَعطوا صورة سلبية ليست حقيقة الإِسلام ولا من أمره فهذه الفرق ومن كان على شاكلتها إنَّما هي غددٌ سرطانية ظهرت في جسد المجتمع الإِسلامي فوجب علاج أمرها وبيان خطرها وعظيم جهلها واستئصالها بالعلم والدعوى وتبيين الإِسلام على حقيقته لهم ولغيرهم، امّا لهم فمن باب الإصلاح واعادتهم إلى حظيرة الحق وأمّا لغيرهم لبيان ما هو جمال وحقيقة وكمال الإِسلام.

خلاصة:

وجب العلم أنَّ الحق واحد وما يتفرع عن الحق فهو حق وأمَّا ما يأتي من غيره فهو باطل مُبتَدَعْ وما دام لم يعتمد على الأصول وعلى فهم من أشرقت عليهم الدعوة فلا يعتد به ولا يقاس عليه الإِسلام وإنَّما يكون على حالته تلك طرفاً في العداء لأنَّه يصبح على ما هو عليه من خلل بيد غيره ممن نصب العداء فيوجهه لمراده ولتحقيق مآربه ولزرع الفرقة والشتات في البلاد وبين العباد، فالأصل من الجميع التمسك براية الإِسلام والسير على الصراط المستقيم ومن اتخذ طريقاً غيره فقد ضَلَّ ويريد إضلال

غيره ظناً كاذباً من نفسه أنَّه على الحق وهو ليس على ذلك، وهناك أيضاً خطر آخر ترتب على حالهم تلك فهم ذائبون في غيرهم بالإِتباع والطاعة لنقص المدركات لديهم وفساد التأويل عندهم، والمُشاهَدْ مما ترتكبه أيديهم دليل حي على قولنا، والناظر لأفعال الروافض والخوارج يَعلَم عينَ وأَلمَ ما نقول.

***

لماذا دين الإسلام دوناً عن غيره من الأديان يجتمع عليه العداء

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾[الصف:7].

قال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾[البقرة:105].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[آل عمران:70].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[النساء:167].

إنَّ الناظر لتوجهِ العداء وتركيز هجماته لَيَعلَم بما لديه من شواهد ظاهره وإدراكٍ عقلي أنَّها كلها تَصُب مجهودها العدائي على الإِسلام ولا تلتفت إلى بقية الاديان على مستوى العالم ومع علمنا إنَّ أتباع غير الإِسلام من رسالات سابقة لمشتركة في جُموع المناوئين للإِسلام عن طريق القائمين عليها من أصحاب قرار مُتَبِعين، ومن رجالات دين ومن ناشطين وهذا حال الأغلب منهم مع حيادية البعض – ونذكر هذا من باب الأمانة –، إذاً فاشتراك العداء مِن قِبَلِ من ليس له رسالة سماوية ومن يهود ونصارى، ومن منافقين(وهم الذين لهم أسماءٌ أو صورة خارجية تعطي اِنطباعاً أنَّهم من المسلمين لكن حقيقتهم وبواطن عقولهم وقلوبهم معادية للإِسلام).

والسؤال هنا: هناك الآلاف من الأديان الوثنية وغير الوثنية فلماذا الإِسلام بالذات؟

والجواب من عدةِ أوجه، وذلك بأنَّه من كان يَنسب نفسه لسابق الرسالات السماوية فأنَّه يقوم في مُجمل أمره على قاعدة أَيديولوجية عقدية، وتوضيح ذلك: بأنَّ الإِسلام عندما أمر به الله سبحانه ورضيه للعالمين فأنَّه قام على التوحيد ودعا الجميع

لإفراد الله سبحانه بالعبودية ونبذ الشرك، وبناءً عليه فالإسلام أتى لينسخ الرسالات السابقة التي حادت عن أصل الرسالة وحقيقة ما تدعو إليه بما مسها من تحريف ناهيكَ كونها محدودة الزمان والمكان التي أرسلت لأجله، ولكن هنا فبدلاً من أن يَتَبع من كان على رسالةٍ سماوية سابقة دين الإسلام لأنَّه من نفس المصدر وموجود عندهم أنَّه قادم ويجب إتِّباعُه بل على العكس تماماً أنكروا وتمادوا على الدين الجديد وأكنوا له العداء وكذَّبوا أن يكون هناك ما يؤيد ذلك في ما بين أيديهم، وحالُهم هذا كذبٌ على كذبْ ودليل صارخ أنَّهم رافضين للحق الذي يدعوا إليه بقية ما ورد فيما بين أيديهم وهو معلوم موجود لمن أراد إيجاده مِن مُنصف باحث عن الحقيقة ودليلٌ أيضاً على صحة الإسلام الذي أَخبَرَ عن حالِهم وكَذِبُهم على الله سبحانه قبل أن يُكَذِبوا الإسلام وإنَّهم يحرفون ما بين أيديهم، إذاً فهذه العدائية النابعة من التعارض بين القائمين عليه والجديد-وهو الإسلام- هو التمسك من طرفهم بالمصالح والقوة وليس أنَّهم على صحيح الأمر فهم يعادون الإسلام بهذا المخزون العقدي خوفاً من سحب النفوذ أو هدم ما بنوه من معايير ومرتكزات قائمة على استخدام الدين كنقطة جذب للمصالح والحياة الاجتماعية والسلوكية التي انغمسوا فيها في مستنقع الهوى والنفس مع بعض الروحانيات التي لم يؤمروا بها ولكن جعلوها من عند أنفسهم. وأمّا من كان من غير هؤلاء وكانَ على غيرِ دين فهو رافض للدين أصلاً كَكُل ولكن ارتكاز عدائهم على الإسلام دوناً عن غيره لأنَّه الدين الذي لم يستطيعوا الطعن فيه وابداء عيوب التضارب فيه وذلك ليس لضعفهم بل لأَنَّ دين الإسلام يخلو مما وجدوه في غيره وطعنوا فيه فمزاعمهم قائمةٌ على الكذب والافتراء واختلاق الشُبهات، وهناك أمر في حالهم أَيضاً، فبقية الأديان على ما كان منها من خروجٍ عن الأصل والمنهج فقد تعاملت معهم تعامل الرضا والقبول أحياناً على عكس الإسلام الذي يرفض بأيِّ حالٍ موافقتهم أو الرضا بِحالهم إضافةً لما بَيَّنَ الإسلامُ من عورهم وضلالات أفكارهم وأنهم ليسوا على شيء.

إذاً هذا هو حال من كان على رسالةٍ سابقة ومن كان رافضاً للدين ككل في

مُناوَئته للإسلام، وأمّا علاقتهم مع من كان على دين وثني أو أقليةٍ مُتبِعة لغرائب المعتقد فإنَّه لا يُشكِّل هذا الخطر عليهم باعتقادهم، وذلك لعدة أمور منها أنَّه لا يتعارض مع معتقداتهم ولا يمثِّلُ لهم نداً قوياً أو خطراً محتملاً، وثانياً أنه لا يتسم بالعالمية وهي التي تشكل لهم أَرقاً عملياً فهم يدركون أنَّ الإِسلام دينٌ حي وذو تمدد أُمرَ بتبليغه ونشر دعوته وبيان تعاليمه وهذا الأمر عندهم تيارٌ جارف يخافون منه على أنفسهم وذهاب بناءهم، وثالثاً عِلمُهم بأنَّ الإِسلام رايةٌ يتوحد الجميع من أتباعه عليها وهذا التوحد هو تشكيل خطر عندهم لأنَّ تعاليمه وشرائعه تحثُ على التصدي لمن تصدى للدعوة وإنَّه محفز للقائمين عليه، ورابعاً غير الاسلام ليسَ كالإِسلام بكونهِ غيرَ ذي قابلية للذوبان في حضارةِ وأفكار الآخر لأن أصوله وعلومه وتراثه ذات استقلالية وتميُّز لا توجد في غيره و بتمدد الزمان بقي محافظاً على أصوله وإن كان في حالة ضعف إِلّا أنَّ ناره لم تخمد، وفي ظَنِّهم بأنَّه إذا قام من جديد بنفس حرارة ابتداءه فإنه سيطيح بهم، وخامساً فقيَّمُ الإِسلام وسلوكياته الاجتماعية لا تجد توافقاً مع أكثر الجميع وإن كانت هناك مشتركات متفق عليها إِلّا أنَّ الإِسلام وضع نَظماً وأحكام تتعارض مع ما ألقوه واختارته أَنفسهم وهي ليست نابعة من مصادر علوية او ذات قيمة اخلاقية.

خلاصة:

يختلف الجميع فيما بينهم لكن يشتركون في عدائهم على الإِسلام؛ لأنَّ الإِسلام دين ذا تعاليم علوية وقائم على منهج ثابت ليس للإنسان فيه يد في أصوله، وأمّا ما بين أيديهم فهو إمّا رفض أو تحريف أو ذوبان في الآخر، وبروز الإِسلام هو ذهاب لريحهم وطمسٌ لمعالمهم وتقييد لإنفلاتاتهم وشهواتهم، فكل طرف اتخذ من الإِسلام عدواً إنَّما كان لجحوده وإنكاره ولِعلمه أنَّ قيام الإِسلام ذهاب له.

***

قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: 103].

قال تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [الشورى: 13].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩﴾ [الأنعام: 159].

قال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» متفق عليه.

قال ﷺ: «مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى» متفق عليه.

إنَّ كل واعٍ يملكُ عقلاً راجح ومن كان صاحب إيمانٍ بتعاليم الرحمن لَيَعلَمُ أنَّ الإسلام على عَظمةِ شأنه وعلو أمره وسعة كفايته للإنسان في كل جانب من جوانب حياته بأنَّ هناك خاصية لهذا الدين ليس لها شبيهٌ كامل في مناهج العالم أَلا وهي توحيدُ وجمعُ الأَتباع والامتثالُ به كوحدةٍ واحدة، وهذا الأمر من أساسيات نظام الإسلام ومما تفرد به بذلك الوجه الكامل والتوجيه الفعال وذلك ابتداءً من كون الإسلام عقيدةً ودعوةٌ قائمةٌ على التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى وإفراده جلَّ في عليائه بالعبادةِ والإتِّباع، وهو في ذاتِ الوقت مُفَعِلٌ موجد لوحدةِ الأفراد، فالالتزام بالمنهج توجيهٌ وإيجاد لهذه الوحدة وجاعلها على هيئةِ وحدةٍ اجتماعية وشعورية وتبادلٍ عملي وسلوكي واحد وسائرةً على طريقٍ مرسوم من قِبَلِ نفس المنهج الواحد، فالإسلام هو دين وحدةٍ وتوحيد وهذا الدين على مُدد تاريخه كان هو الطريق الواحد الذي سلكه الجميع

ويسيرون فيه حاملين تعاليمه ومؤدينها متعاونين حافظين أنفسهم وراعين غيرهم ومؤدين ما عليهم ونَظْمُهُمْ في هذا التوحد قائم على امتثالهم واتِّباعَهُم الأمثل للدين وهذا ما أعطاهم تلك القوة الفعالة والمؤثرة التي تحفظ ذات الافراد وذات المجتمع والدولة، وأيضاً استمرار السلوك والدعوة للطريق المرسوم على أمثل وجه وفي نفس الوقت تَتَشكل مناعة من التعرض لآفات الغير، فهذه الوحدة القائمة على الشرعية الإسلامية والتمسك بالأصول والقيم الشعورية والعملية بين الأفراد جعلتهم في هذا العلو في الخيرية فيما يُحَصِلوه وفيما للغيرِ يقدموه، فالإسلام قد جعل المسلمين وحدةً واحدة في شكلهم ومضمونهم كما الصلاة وهي عماد الدين وركن من أركانه ترى فيها ذلك النسق البديع ووحدة الإقبال الإيماني للعبادة وكذلك هي سائرُ الاركان والعبادات والتعاليم كلها دالة ومؤشرٌ حي على التوحيد والوحدة، وهناك أيضاً النواحي الاجتماعية والعلاقات السلوكية بين الأفراد والتي نَظَّمها الإسلام وجعلها محفزاً دائماً وسلوكاً تعبدياً يُوجد الوحدة ومراعاة الآخرين وحَمْلْ هَمْ الاشتراك بالخيرية للجميع في كل دائرة من دوائر التفاعل الاجتماعي، فالإسلام بهذا التوجه الراقي جَعل الأُمة بأفرادها جسداً واحداً يتأثر بعضه ببعض والكل من أعضاءه مرتبط بالآخر شعوراً وعملاً متبادلاً فيحافظ كلُّ جزء منه على غيره لأنَّه بذلك حفظٌ لنفسه في عموم الحفظ العام.

وهذا هو الإسلام الذي يعادوننا عليه، والذي لا يسعهم إلّا أن يتبعوه لو أصغوا لصفاء قلوبهم ولنقاء فطرتهم، لكنهم لم يرضوا بهذا الجمال وتلك الصورة القائمة على نهج الحق لمّا أعْملوا عقولهم بما أوحت به شياطينهم ونفوسهم القاتمة فاسودت قلوبهم وتلوثت فطرتهم فأرادوا هدم هذا الصرح العظيم وهذا المنهج الكريم فاتجهوا بقبح أعمالهم وسوء نواياهم إلى زعزعة أركانه من خلال النيل من وحدته وتماسك أفراده فعملوا على إضعاف العلاقة وايجاد التفرقة بين الإسلام وأتباعه وبين الأتباع أنفسهم، وما عملوا ذلك في مجمل أعمال عدائهم إلّا لعلمهم أنَّ هذه التفرقة هي تقييدٌ وإضعافٌ

للإِسلام وركنٌ مهم في مخطط تنفيذ مآربهم وطريقٌ لضرب جهاز المناعة للجسم الإِسلامي وبالتالي يسهل تعريضه للآفات والمُدخلات المؤثرة عليه، وكما نحن نكون على قوةٍ بوحدتنا فَهُم يعلمون أنَّ النيل من تلك الوحدة هوَ ايجاد للمقابل من وَهَنْ والذوبان في الآخر، ولذلك لجأوا إلى شرِ كيد في أكثر من مجال فيما يخص ذلك وعلى امتداد فترات طويلة توارثوا فيها العداء والكيد للإِسلام - ولننظر لأحفاد الحملات الصليبية كمثال لنعرف ما يُقصد بالتوارث هنا- وهم يَعوون أنَّه لا يُقدر على تفكيك هذه الوحدة بين ليلةٍ وضحاها لذلك يزرعون كُلَّ ما يؤدي لنيل مرادهم، وما فَعلوه وما يزالون يفعلونه فيزيدون منه في جانب ويقللون في آخر ظاهرٌ للعيان، وها هي بعض بلاد المسلمين محتلة مثلاً بما زرعوه من سرطان داخل الجسم العربي والاسلامي، وهناك بعض ثمار كيدهم العفنة ملحوظة في ذلك التقسيم وغياب الوحدة الإِسلامية بشكل لا يُقدر من تأثيره على القيام بأثر فاعل على مستوى عالمي أو حتى مطلوب ضرورةً القيام به، ودأبهم على مخططهم في التفرقة والتنازع عاملةٌ على عديد محاور كلٌ منها يزيد الشق في الصف الإِسلامي ويُقَيضُ من قوته ومدى تأثيره وحصانته لأنَّ ايجاد تلك النزاعات واختلاف التوجهات نظراً لتعدد التبعيات بين الدول الإِسلامية جعل كلاً منها يذهب في طريق يُؤْثِرُ فيها نفسه وقد يتصادم أحياناً مع غيره ويتولد عن ذلك الابتعاد عن الوِحدة والتحكيم للمنهج، فيصبح الجميع ذائباً أو منقاداً لسياسات الآخر الذي يملك أذرع القوى السيادية في العالم ولا يحتكم للإِسلام أو يَعتبرهُ مرجِعاً، ولسان حال دولنا الإِسلامية دليل على ذلك بما انتهجته أيدي العداء وما قامت به من إِذكاءِ نيران القومية والطائفية في المجتمعات الإِسلامية والتي أخذت لها حيزاً في الأخذ والاعتبار عِوضاً عن الشريعة الإِسلامية في كثير أوجه، والتي هي بأصلها تلك المُدخلات منبوذةً مرفوضة في المنهجية والرؤية الإِسلامية، وهناك أيضاً حالات التَّفَرق والفُرقَة التي أوجدتها العدائية للإِسلام عندَ الأفرادِ أنفسهم في نظرتهم الكلية للإِسلام وطريقة اعتمادهم له؛ فحالة غياب الوعي لمقررات وتعاليم الإِسلام جعلت الكثير ممن

ينتمون للإسلام يخلط بين ما هو شرعي وما هو مُستحدَث لا يتلاءم مع الإسلام ضِمناً أو مشروعية، ونتج عن ذلك أيضاً لدى البعض ضعف التقدير للإسلام لمّا رأى حالة الضعف العام وغياب الفعالية الإسلامية في التعامل مع الأحداث أو حتى الاعتبار بالرجوع إليها في القياس ومثالُ ذلك الأوضح ظاهرٌ في بعض القرارات أو التوجهات السيادية عن بعض الدول والتي تتعارض مع الرؤية والتوجه الإسلامي، وأيضاً هناك مثالٌ يحمل الخطورة المستمرة وهو تلك القوانين الوضعية أو المُستَجلَبة من خارج الإطار الإسلامي والتي زُرعت في أنظمة ومحاور التداول في الدول الإسلامية ويُعمَلُ بها دوناً عن الشريعة الإسلامية.

وإنَّ الرائي بعين الحق ليرى كثيراً من عوامل وأدوات التفرقة المغروسة طعناً في جسد المجتمع الإسلامي وبين أهله والتي أُريد بها الإبقاءُ على البون الشاسع بين الإسلام وأهله من جهة وبين المسلمين فيما بينهم من جهة وذلك لأَلا يرجع المسلمين وِحدةً ذات قوةٍ كما كانت وليس ذلك عنهم ببعيد، فيشكل ذلك خطراً عليهم بنظرهم، ولِتَيَقُّنِهم أيضاً أنَّ النفس المسلمة مائلةٌ في داخلها إلى الوحدة وذلك بما يُمليهِ عليها الإسلام ويدعو إليه وهذا مما يجب على كل مسلم أن يعمل على تحقيقه ليعود الإسلام لِعزِّهِ فيعود معه عِزُّ المسلم.

وليُعْلَم أنَّ أتباع الإسلام وأهل الإيمان لا يُقدر عليهم ما داموا على صواب التطبيق وحسن الامتثال لتعاليم الرحمن وإنَّما نيلَ منا لمّا تفرقنا، وفُرِّقْنا وكان هذا من دأبِ كلِّ معادٍ لا يَقْدِرُ على عدوه فيَعملُ على أضعافه وتَفرِقَةِ أتباعه ومن ثَمَّ يُركزُ هجماته، فالله الله في وحدتنا وفي الرجوع لديننا الذي هو عصمةُ أمرنا وطريقنا إلى كل خير فديننا مُوحِدٌ غير مُفَرِقْ جامعٌ غير مُشتِتْ وهو حبل الله المتين وصراطه المستقيم من لَزمه وتمسك به نجا وكان من الفائزين ومن عاداه أو فَرَّقَ جَمعه فهو من الخاسرين.

***

الإعلام تابعٌ أم مستقل في العداء

قال تعالى: ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزمر: 32].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات:6].

إن الإعلام في أصغر تعاريفه هو الإخبار وايصال المعلومة، وفي وقتنا الحاضر فقد اتسع نشاطه وتعددت أدواته وطرقِ استخدامه فأصبحَ بناءً متعدد الغايات وعظيم الإمكانيات وواسع التأثير وجزءًا لا يتجزأ من أيِّ كيانٍ أو دولةٍ أو نشاطٍ مؤثر أو هدف يُطلب تحقيقه، أو فِهمٌ يراد تمريره، أو واقع أو حدث أو شيء يراد تعزيزه، فالإعلام قد وصل في قوتهِ وفي مقدار سرعتهِ ما يجعل تأثيره أحياناً مجاوراً للحدث الذي يقع بل وقد يسبقه من باب التحضير أو التخمين او التحليل وهذا عائدٌ لتعدد أذرعهِ وحجم الإمكانيات والجهود المترافقة معه فأصبح له يدٌ في كل مكان وتأثيرٌ يصل لكل إنسان على وجه البسيطة، وهو على أنواعه من مسموع أو مقروء أو مرأي وغير ذلك أصبح كلغةٍ مشتركة بين الجميع يسهل الوصول إليها والتأثر منها واستخدامها.

وأمرنا مع الإعلام في هذا الباب ليس منوطاً بالإعلام المجرد بذاته فهو مُشْتَرَكٌ وأداةٌ إنسانية للجميع ووسيلة من مجريات التعامل والتواصل البشري وعِلمٌ من علومه الواسعة والأدوات النافعة، ولكنَّ الإسلام كحالِ تعامله مع أيِ نشاطٍ إنساني مؤثر على الغير أو لهُ علاقة يترتب عليها ناتج فهو يوجههُ إلى كمال الهيئة وعلو الخيرية وحُسن المقصد ويضعه في قالبٍ شرعي حرصاً منه على بقاء النفعية المقصودة والمُثلى هي المحصلة للنشاط دوناً عن الذهاب به استخداماً يميل به عن الحق أو يعارض التعاليم العلوية والثوابت الإسلامية، ولهذا فنظرةُ الإسلام للإعلام على وجه الخصوص نابعةٌ من ذلك التوجيه العام التابع للمنهج نظراً لِدَورهِ في حركةِ الحياة وما يترتب عليه من نتائج وما يَشغَلُ من حيز في التداولات والتأثير، فكان لا بد أن يكون على مصداقيةٍ

ومثاليةٍ في الطرح وتماثل بين الصورة المنقولة مع الأصل لِئَلّا ينتقل من باب النفعية إلى باب الاستغلال وإلحاق الضرر بالغير.

وإن إفرادَنا للإعلام بابٌ في لماذا يعادونه مع كونهِ أداةً غير مستقلة وليس أصلاً قائماً على العداء بذاته، وأَنَّه مستخدم من قبلنا ومن غيرنا في أوجُه كثير منها يُحَّصِل المنفعة والخيرية له مُبرِرْ وتوضيح؛ فالمقصود من طَرف الإعلام الذي نوضح أمره، هوَ من أصبح مطيةً لغيره مِنْ مُكِنِّ العداء ومبرِراً لفعله، وأداةً فعالةً في تحقيق مُراده في رسم الصورة الذهنية عن المُستَهدَف وبالتالي تهيئة القبول للفعل اللاحق، فلذلك هنا مع هذا التوصيف أصبح الإعلام بهذه الشاكلة وهذا الاستخدام فِرعاً عن الأصل وجزءًا لا يتجزأ منه ومرآة تعكس رغباته ووجهة نظرته وطموحاته، فَمَن اختار العداء فإعلامه تعبير عن نفسه واستباقٌ عام لأمره وصورةٌ عنه، والخطر الواضح في ذلك هو في استخدام الإعلام والذهاب به استغلالاً لتشويه الإسلام لأنَّه أصبح بهذا الاستخدام مَقراً ومنبعاً يَصْدُر عنه كلُّ أَجِندات العداء.

وكما هوَ معلوم، فإنَّ الناس يعتمدون على الإعلام وقنوات التواصل في الحصول على المعلومة عن المحيط بهم وما هو بعيد عنهم، ولفهم الأحداث ومجرياتها، وعنِ الأمرِ من حيث تقييمه أو الاستدلال عليه وعلى شؤونه وحالِ أفراده، وهنا عَمِلَ الإعلام على ذلك الجزء مستغلاً تلك الحاجة إليه بأخذِ العِلم عنه فيما يتعلق بالإسلام وما يحيط او يتعلق به من أحداث وسلوكيات، فَوُظِّفَ الإعلام هنا وجُنِّدْ وخَرَجَ عن كونه كما يزعمون محايداً أو منصفاً في هذا الجانب، بل وحَمَلَ معه أيضاً صِفة العدائية المقترنة بِمُشَغِّلِهِ والذي صب مجهوداته للنيل من الإسلام وتشويه صورته وَوَضعِهِ في قالب مغاير عن حقيقته وذلك بعديد طرق أبعد ما تكون عن الحياد أو المصداقية والتي من أشملها ضرراً وأكثرها استخداماً أن يستهدف جزءاً تابعاً للإسلام مقترناً به يُأْخَذُ عنه النظرة والمقياس للإسلام من الكثير ثم يُلصِق به صورةً مكذوبة أو غير واضحة ويُظهِر منها الجانب السلبي الظاهر عند اقتطاعها من الكل ثم يقوم بتضخيمها وإبرازها

على الوجه العام وقنوات التواصل ويعمل على تكرارها بمنهجيةٍ علمية نفسية مدعومةً بالشواهد المزعومة أو الأحداث المتقاربة والتي تُعزِز وجود تلك الصورة المكذوبة مع تكاتف الجهود البشرية المتواطئة على تناولها وتأكيدها وتأكيد ربطها بمفهوم الإِسلام وأفكارهِ القائم عليها، وهنا تترسخ تلك الصورة في أذهان الفئة المُستهدفة والمراد ثبات تلك الصورة لديهم في الفكر السلوكي والحالة الذهنية والتصور العام وتصبح تلك الصورة المُلفقة هي البديل عن الصورة الحقيقية والواقع، وتصبح حينها صورةً نمطية منسوبة للجزء أو الأصل الذي أُلحقت به زوراً، وهذه الثمرة والتي هي نتاجٌ لجهود إعلامية وجهات داعمة وأساليب تغذية سلوكية وعلوم إنسانية نفسية وغيرها فَيُعمَلْ على استغلالها بما تولد عنها من صور نمطية ومناخ فكري عام عند المُستهدف وبالتالي يكون هناكَ تبريرٌ مسبق عن القرارات التي سوف تُتَّخَذ أو الإجراءات التي سيعمل عليها أو عُمِلت فعلاً، وهذا يكون في محيط المستغِل للإِعلام في بَلدهِ بأفراده وتابعيه أو في المجتمع العالمي غير الإِسلامي وحتى عند التابعين له بأجر أو رغبة ممن هم داخل البلاد الإِسلامية، لأنَّ الهدف هنا والثمرة من هذه الفبركة من رسم تلك الصورة المُلَفقة هو ايجاد الالتفاف والتأييد الفاعل حول القرار وأصحابه في البلاد الغير الإِسلامية من جهة السيادة، ومن جهة أخرى هناك ثمرتُهم في تقويض الإِسلام وزعزعة شخصيته وصورته في نفس محيطيه وأمام العالم، وبمعنى أدق فكل جهة لها وجه قبيح تعمل عليه في الإعلام لنيل مرادها وبِحَسْب عدائها ويكون إِمّا لنيل التأييد لهم من الداخل أو لإيجاد معركة فكرية وتفرقة سلوكية في عمق المجتمعات الإِسلامية، وأيضاً ايجاد ذلك التنازع بين المؤيد لهم والمعارض ممن هو ليس تابعاً لهم أو مُقِرٌ بأفكارهم ومعتقداتهم...

وأَودُ أن أُركِّز على ما يفعله بعض أصحاب المراكز والقنوات الإعلامية والتي زادت من انحراف الإعلام عن أصله وحياديته ومصداقيته والتي هي مطلوبٌ وأصلٌ في الصواب العام وسُنَّت لذلك القوانين العالمية لإبقائه على ذلك، والذي لا نراه مطبقاً أو حقيقياً في واقعنا بما يتعاملون به معنا ومع إسلامنا وقضايانا العربية والإِسلامية في

العالم كله، ولننظر لحالِ مسلمين العالم وما يحاط بهم ويكاد لهم وما يتعرضون إليه، فأين تلك المواثيق والحيادية المزعومة والتي لا يتناولون منها إلّا قَدْراً ضئيلاً ولو استطاعوا لألغوه أيضاً، فهذه المراكز أو ما شابهها مع قنوات إعلامية لتقومُ على تبني وتدريب وتهيئة الامكانيات لكل مُناوِئ للإِسلام أو منافق يريد طعن جسد الأمة الإِسلامية والنيل من تراثها، فتعمل على تلميعه وايجاد المناخ المناسب له لبث سمومه وزرع شبهاته وتلفيق اتهاماته بحُجَّة حرية الإعلام والرأي الأخر، ولو نظرنا في حال تلك القنوات وكيف تضع تحت رعايتها من هم أعقم الناس عقولاً وأوسعهم كذباً وافتراءً وأَسَمَّهُمْ لساناً، وكيف ينشرون تلك البرامج أو الأفلام أو تحليل الأفهام والتي تصور حال المسلمين أو بعض رموزهم بتلك الصورة المغلوطة والمسيئة للإِسلام، والمزرية في التعبير عن شخوص الإِسلام وأعلامه، أو مما يتعلق به حصراً كبعض الأحكام أو التعاليم أو حتى اللباس- ولكأنني اتخيل مدى سواد الإعلام في بعض الشخوص، كالبحيري وابن عيسى والقمني من هؤلاء الآن وغيرهم للأسف الكثير، ومن القنوات الاعلامية كالغد والعربية والحرة وغيرها - ، وهناكَ إضافةً سيئةً منهم أيضاً بإيجاد ذلك التمييع في السلوك الأخلاقي والتوجيه للحرية الجنسية أو العقلية والتي تَعْمَلْ على النيلِ من هوية وشخصية المسلم وتجعله يذوب في عالمٍ غير عالمه الإِسلامي وأخلاقٍ ومفاهيم بعيدة عن الإِسلام، وَتوجِدْ أيضاً حافزاً للتجَرُؤ أو الخروج على القيَّم والأخلاق الإِسلامية الأصيلة وخروجاً أخطر على الثوابت الإِسلامية والتعامل معها ودرجات تقديمها في الاعتبار والتعامل العام والخاص.

وكل هذا الفعل المقصود من القائمين على الإعلام والذي هو مدفوعٌ الأجر من قِبَلْ من حَملوا هَمَّ العداء للإِسلام كان أيضاً بمباركةٍ ممن كان تابعاً لغيره وكان صاحبَ قرارْ فحمل إثماً على إثم بتبعيته اولاً وبالسماح بذلك التعدي الإعلامي ثانيا.

ولهذا وجب علينا أن نعي ما يحصل ومقدار الخطر المحدق بنا والذي يسري في مجتمعاتنا، ووجب أن يستخدم الإعلام إضافة مع جهد الدعوة والارشاد والتعليم

والتوجيه على الوجه الأمثل، فكونُ الإعلامِ ليس حكراً على أحد -وإن كانوا يستخدمونه ضد الإِسلام- فلنستخدمه نحن لبيان حقيقة الإِسلامِ لغيرنا ولإيصال الصورة الواقعية والحقيقية عنه وعن جمال تعاليمه ونقاء مفاهيمه وعلو أصوله، وأن ننفض الغبار عن عقولٍ تشوهت عند أصحابها نظرتهم وتشوشت فكرتهم أو حتى من كان جاهلاً منهم، فما الإِسلام بدعوته إلا داعٍ لما كان حقاً عليه وبما عنده من تعاليم ومنهاج والذي من باب أولى أن يُتَعَرَّف عليه وما يدعو إليه فهو عالمي التوجه والرسالة وعالميته تلك تعني انه يسع العالمين رحمةً ومنهاجاً لحركة الحياة ونوراً يضيء الطريق ويوجِد الخيرية للجميع.

وخلاصةً:

فالإعلام حينما صار في بيت العداء ضد الإِسلام وتحت وصايته أصبح أشبهَ ما يكون بكيانٍ ممسوخ يُنَفِذ نظرةَ صاحبه، وأصبح شِبهَ مستقل بتصدره لبث كل موجةٍ من التلفيق والصورة المطلوب بثها، وأصبح في زماننا هذا الإعلام ليس أداةً مستقلة ومحايدة بل مأوى في كثيرٍ من الأحايين لعقول أو أفهام إنَّما رُبيت وتم رعايتها وتبنيها للنيل من الإِسلام، فبدلاً من أن تكون تلك الأداة مرآة تعكس الواقع وحلقَةَ تواصل، أصبحت عند من أنكر وعاند واختار العداء صوتَه الذي يريد من الآخرين تصديقه وَسَماعهُ حول الآخر وممهداً له لقابل أفعاله.

ومن كمالات الإِسلام أنَّ واقعه الحقيقي (غير المزيف) والأصيل مطابقٌ لأصوله ولدعوته ونَهجِه الذي يبثُه والذي هو شريعةُ الله سبحانه لعباده وللخلق أجمعين فلا داعٍ منه أن يأتي بما ليس ما عِندَه، فكمالهُ في ذاته وفي إشعاعِه وما يصدر عنه، وما تلك الأحداث أو التصرفات او الأفهام والتي خرجت عن طور الإِسلام وطريقه إلّا انفرادٌ من أصحابها لم يدعو إليها الإِسلام أو يؤديها أو يعتبرها جزءاً منه، وأمّا الآخر فقد صنع تاريخاً لنفسه لافتقارٍ في أصوله وشتاتٍ في قِيَّمه وازدواجيةً في معاييره وآلاماً في أحداثه على مر وجوده فَاتكأَ على الكذب ليوجِدَ هالةً حولَ نفسه وقوةً في أمره والتي سُرعانَ ما

تذهب تلك الغيمة عنه فَيُرى حقيقة واقعه وهُزال قِيَّمه وما يدعو إليه.

وإن الأسف لهو على ما فرطنا فيه من رسالة ومنهج الذي يجعلنا في المقدمة في كل شيء، فعندما ضعفنا بابتعادنا ومن مكائد اعدائنا، وما زرعوا من أسباب خلل وفُرقة فكان منطِقُهم علينا هؤلاء الذينَ لا يحتكمون لشرع أصيل وتعاليم الوحي أنَّ الحق مع القوي وليس مع الضعيف، فالله الله في ديننا الذي هو عصمةُ أمرنا ورشادنا ومنبع قوتنا وخيرنا في ديننا ودنيانا.

***

الغزو الفكري على الإسلام

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الصف:8].

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة:217].

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ۝١٧﴾ [الرعد:17].

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران:7].

نقف هنا أمام هجمات متتابعة وتخطيط واسع وشكل آخر من أشكال الحرب على الإسلام، ولكن هذه الجديدة لم تكن كسابقاتها مجابَهةً بالسلاح وسالت فيها الدماء مثلما حصل في الحملات الصليبية سابقاً على بلاد الإسلام وتبعتها دول الاستعمار في حملاتها الجديدة والتي تعتبر امتداداً لذات الهدف والمشتركات في العداء والتي فيها أُزهقت الأرواح وأُنتُهِكَت البلاد وأبيدَ العباد، فهذه الحرب الحاصلة الآن (الحرب الفكرية) وكانت سابقاً بشكل أخف اتخذت شكلاً ناعماً لا تستخدم فيه الأسلحة المادية بل الجهود البشرية والطاقات العقلية والتي لم تَسْتَهْدِف الأجساد والأماكن بل تُوَجِهُ سهامها الفكرية وأَسلحتها المعنوية نحو العقل والفِكر والهوية الثقافية والشخصية الإسلامية للأفراد، وهذه العملية الهجومية والتي هيَ حرب ثقافية أو غزوٌ فكري لواسعة النطاق ومتعددة الأذرع تنال كل جانب يخص الإسلام ويكون له تأثير على أفراده وعلاقتهم مع الإسلام وإدراكاتهم عن أنفسهم وفهمِهِم لدينهم، فالشخصية

الإِسلامية تتمتع بتفرد إيجابي وعمق في علاقة الفرد مع منهجه الذي يسير عليه ويعتبرهُ المقياس الذي يحتكم إليه في كآفة شؤون حياته والذي من خلاله يُكَوِّن ذلك التصور السلوكي والنظري في التداولات والأحداث التي تمرُ عليه والذي يشكل أيضاً الاتجاه العملي لديه نتيجةً لذلك التصور، فالإِسلام في علاقاته مع أتباعه قامَ بإحاطتهم بإِحاطةٍ كاملة وبتوجيهٍ مثمر يَصُبُ في الخيرية والارتقاء الإيماني والعلو في القيم ومثالية التحصيل المادي والمعنوي في العلاقات بين الجميع، وهنا لعلم من أكَنَّ العداء للإِسلام ذلك، اتَّجهَ بعدائِه لهذا التوجه الجديد الذي يرادُ منه ايجاد تلك الهوة والشرخ بين الإِسلام وأتباعه، وبين المسلمين أنفسهم، بأن يضرب تلك الصورة العملية ويوجد ذلك الخلل في مراكز التصور والأخذ عن الثوابت والتراث الإِسلامي فعمَدَ إلى الذهاب إلى طريقة التعليم والفِهم عن الإِسلام في كآفة أدواره منذ بدأ التنشِئة وحتى وصولا لتناول وتطبيق الأحكام العامة فأوجدَ فيها ما يثيرُ الالتباس والتشويه العام والاختلاط بين الأصل والمُستحدث الذي جُلبَ من خارج الإطار والفِهم الإِسلامي وألصق به، مُعتمداً في ذلك على أدواتِهِ التي زَرعها في المجتمع الإِسلامي من تابعين أو مُستأجَرين أو مِمَّن كانوا يحملون عقولاً وأفهاماً مشوهة يناوئون بها الدين فَعَمِلَ على استغلالهم وتقريبهم إمّا بالرعاية أو بالعلاقة التي أرادها هؤلاء برغبتهم طواعية أن يرتبطوا معهم لأنَّهم يتبنون نفس النهج الفكري حول الدين فأرادوا نَسباً سِفاحاً ينتسبون فيه إليهم تقرباً، وقد فعلوا وتم تبنيهم وتسخيرهم؛ فلباسُهم وأسماءهم العربية والإِسلامية خدمت أسيادهم بأن نقلوا المعركة إلى ساحتنا، وكانت هناك أيضاً بعض البيادق التي تُحركُ هنا وهم ممن يزعُمُ أَنَّه من بني جلدتنا وحقيقةُ ولائِه لغيرنا.

وهذا الاعتداء الفكري والغزو الثقافي لم يكن قاصراً في وقتنا هذا، فجذوره ممتدة منذ قِدم، ولعل أقواها في الزمن الحديث ما كان بدأً في دور المستشرقين وبدايةِ عملهم بتلك الدراسات والمجهودات التي بُذلت ليس لغايةِ دراسة الآخر بما يستفاد من تجربته الحضارية أو علومه المادية بل كانت دراسةً استراتيجية لمعرفة نقاط قوته وضعفه

وتمهيداً لغزوه واستخرابه والنيل من مقدراته والطعن فيه، والتي أثمرت عندهم بأن وضعوا المراجع والأُسس التي يخترقون فيها الإِسلام ويلوثون جوه العام ويطعنون في ثوابته وينالون من رموزه، ولم يكن هذا على طريق منصف أو حيادية بل كان بتوجهٍ خبيث وسوء سريرة وعَداءِ غاية، فاقتطعوا ما يريدون واختلقوا ما به يكيدون وأضافوا ما يشوهون فكانوا بجهدهم وجمعهم ذلك مرجعاً ساماً وشُبهاً حاضرة لمن كان بعدهم والذين استقوا منها ما يحاولون به أن يُلقونه أو ينسبونه كذباً بالإِسلام – الذي هو منه براء– وعلواً ضالاً منهم بأنَّهم كتبوه في كثيرٍ من جَمْعِهِمْ بِفهمهم هُمْ وبأنماط تقديرهم واعتقادهم ولم يراعوا أدنى درجةً من الإنصاف بأنَّ عدالة النقل أو الإخبار وَجَبَ أن تكون بلسان وفَهم الأصل وليس الناقل، وهذا نراه كثيراً في تلك الشبهات والافتراءات التي ينشرها من حَمَلَ النفاق في قلبه والمرض في عقله وينسبها للإِسلام.

وبعد تلك الفترة الحالكة والجهود الهالكة نَزَعَ من حَمل العداء إلى استقطاب من رأى فيه أداةً لتحقيق غايته، فهيئوا المنح والمشاركات الثقافية والتعليمية وأحاطوا هؤلاء بهالةٍ من البريق الحضاري والتقدم المادي وكيف أنَّ أفكارهم ونظرياتهم ونهج حياتهم العلمانية أو المغايرة للاتجاه الإسلامي في كثير من أوجهها هي القاعدة والمُنطلق للوصول لهذا المستوى الحضاري، فتشرب بعض هؤلاء ذلك النسق وتلك التجربة فعادوا إلى بلادهم حاملين معهم أفكار الغير ومفاهيمه مما ليس من نهج الإِسلام وبثوهُ سُماً في عقول تلامذتهم وعلومهم التي نشروها في بلادهم ونادوا بالتنوير والتصحيح والأخذ عن الآخر للارتقاء إلى قريب مستوى وصل إليه واعتماده كمقياس صالح يُأخذ عنه إضافةً لتلك السلوكيات والقيَّم التي جلبوها معهم وتَلقفها ضعيف الايمان وتداولها وأَخذ بها، واثناء تلك الفترة قامت تلك الدول الراعية للغزو الفكري والثقافي بوضع العديد من المراكز والمدارس والهيئات وتفعيل النشاطات وتأسيس الجامعات التي تنشر المفاهيم وعلوم الماديات والفلسفات وعلوم السلوكيات داخل المجتمع الإِسلامي والبلاد العربية فحَصلَ بذلك أن أُدخِلَ على المجتمع من عديد اتجاهات

أفكار وفلسفات ومفاهيم وسلوكيات لا تتوافق مع الإسلام أو تتناسب مع مفاهيمه فَعَمِدَ الكثير ممن تبنوا ذلك الجديد والمُستحدث على إضافة صِبغةٍ شرعيةٍ بسيطة ليجعلوه متقبلاً لدى الأفراد ومأخوذاً به، وتلا ذلك بزمان أن ظهر من ينادي علانيةً بالأخذ عن الغرب أو التبني الكامل لتجربتهم واستنساخ أفكارهم وأصبحوا يروجون لبعض المُدخلات على أنَّها هي الأصل أو تابعةً للأصل، وظهرت حينها وبرزت تلك الفئة من المنافقين أو المُستأجرين الذين ليس لهم همٌ ولا جُهد إلّا بالطعن في الثوابت وإذكاء نار الفتن والشبهات والتي يرجعون في جُلِّها إلى أجدادهم من المستشرقين، فكان عَملُ هؤلاء ومن ورثَ فِكرهم هو النيل من الشخصية الإسلامية وارتباطها بتراثها وايجاد ذلك التنازع الداخلي حول علو الأصل ومكانته، وايجاد النزاع المقصود أيضاً بين الجماعات الإسلامية مع غير الإسلامية من ليبرالية وعلمانية والذي تولَّد عنه حالةٌ من الانقسام والظهور بمظهر الاضطراب أمام الآخر من خارج الدول الإسلامية وايجاد نوع من الضعف في نشر الثقافة الإسلامية على الوجه الاكمل والفِهم الأمثل؛ فحالة الاختلاط والتيار السلبي تحاولُ أن تقف سداً دون بلوغ الشريعة والمنهج الإسلامي مكانته الحقيقية، إضافةً إلى تلك الأجندات التي ينفذها الآخر من خلال هذا التنازع باستغلاله بما يحققُ مآربه ويطمعُ في تنفيذه، وبذلك دخل الأفراد في المجتمعات الإسلامية في دائرةٍ مركزةٍ من التكرار الفكري الهادم والإعلام المدسوس والشبهات وجديد النظريات والتي هي غزوٌ فكري يراد منه النيل من المدارك العقلية وفعالية التطبيق للشريعة والاخذ عن الأصول والتراث وذلك لإلحاق أشد الضرر بالمسلمين وبتاريخهم ومما بيّنَ أيديهم فيُشَكِلُ ذلك بنظر الغازي مجتمعاً متضارباً قابلاً لإملاءات الغير والاندماج في قِيَّمِهِ ومفاهيمه وسلوكياته.

ولذلك فمما يجدر العمل به والنشاط له ضد تلك الحرب الظَلوم والهجمةِ الغشوم أن ندرك ما يفعلون فإسلامنا يملك المناعة في ذاته، ويوجِدُها لأتباعه ممن به يأخذون ولشريعته يطبقون وعلى ربهم يتوكلون، فوجب نشر التوعية وبيان الخطر المحدق بنا

وتنقية الجو الفكري من ملوثاتهم بإبطال أعمالهم وكشف أمرهم وذلك باستخدام ما لدينا من أساليب مشروعة وقدرات عالية من علماء مخلصين ودعاة موجهين فنكشف عَوَرَهُم ونُفند شبهاتهم ونُنَقي الإعلامَ والتعليم من لوثاتِهم ونُبيِّنَ الأصل وجماله وكمال أحكامه وقَدْرَ رموزه وعلو أخياره، فنحن على الحق وما رضيه الله سبحانه هو الأحق بالإتباع والامتثال به على ما علمنا رسولنا الكريم عليه الصلاة والتسليم وبفهم الأخيار الأولين رُضوان الله عليهم أجمعين، وهناك واجبٌ مفروض على من ملك القرار وحَكَم المسلمين بأن يمنع التعدي على الدين، وأن يضع الحدود التي تمنع الفاسدين من التعرض لديننا الذي هو عصمة أَمرنا ونهج حياتنا وفيه في الدنيا والآخرة فلاحنا.

***

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الصف:8].

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١١٢ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ۝١١٣﴾ [الأنعام: 112 – 113].

قال تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝٢٦﴾ [النحل:26].

إنَّ امتداد العداء للإسلام منذ أن أشرقت دعوته إلى يومنا هذا وبعده ليحمل معه هماً منهم بالتخلص منه وتقويض أمره، ولمّا توالت على امتداد الزمان كل سبيلٍ لتحقيق ذلك الهَمِّ الضالِ في أصله ومن هو حاملٌ أو عاملٌ به واتخذ كل طريقٍ لتنفيذه فقد اصطدم بعدد هجماته مع ذلك الثبات والمناعة التي لا يَقدِر عليها ولا تُغلب كما غُلبَ من عَرَفوا في صدامات سابقة أو في تاريخ حضارات اندثرت، وإنَّهم لو كانوا على قليل إيمان لعلموا كما نحن على يقين أنَّ هذا الدين مُتَعَهَدٌ بحفظه ولن ينال منه أحد وإنَّه باقٍ ما دام الزمان موجوداً فالذي أوجده سبحانه هو المتعهدُ بحفظه وهو سبحانه الغالب على أمره، وإنَّما كان هذا الكيد منهم لأنَّهم يحتكمون لعقولهم الضالة ولمادتهم الحاكمة، ومع ما كانوا عليه من جحودٍ وإنكار وبُعدٍ عن الإتباع والتسليم للرحمن ومعهم أَقرانهم من المنافقين والمحرومين و التالفين المُستَأجرين إلّا أنَّهم زادوا مع ذلك في غَيِّهم فأرادوا الذهاب بالإسلام بالكُلِّية واستئصالِ أمره ظناً منهم أنَّهم يعادون من شابَهَهُم، ولم يعلموا لانغلاقِ عقولهم ولسواد قلوبهم وبعدِهِم أو كِبراً منهم إنَّهم يعادون شرع الله وأمره وإنَّه لو شاء الجبار سبحانه لذهب بهم أجمعين ولجعلهم عبرةً للآخرين مثلما

حصل مع أسلافهم السابقين ممن حق عليهم العذاب فكانوا من الهالكين بما فعلته أيديهم وبما عادَوْا وأنكروا الدين، ولكن ذلك أمر الله سبحانه يَفعلُ ما يشاءً ويقدر ولا يُسأل سبحانه عما يفعل وهو العزيز الحكيم.

ولمّا امتد عدائهم وحاولوا بكل متاح وجربوا كل سلاح، ذهب بعضهم بوحي من شياطينهم أو بمشورةِ سوء نواياهم أنَّ من لَم تقدر عليه فأعمل على إضعافه وتشتيت أحواله، فلمعت هنا عندهم فكرةٌ ظالمة مُظلمة وهي ايجاد إسلامٍ جديد أو حديث يناسب أهواءهم، يحمل الإِسلام اسماً ولكنه مفرغٌ من قوته ضعيف في دعوته وقاصرٌ في فعاليته وتأثير عالميته، متوافق معهم متهاون مع قيمهم مندمج في حضارتهم ذائب فيها متعاون مع نمطهم وسلوكهم وأفكارهم، فأرادوا بذلك شكلاً جديداً لا يُشكل عليهم خطراً أو نِداً بل يكون تابعاً لسياستهم وأهوائهم وإنَّ هذا والله لهوَ من خبط أحلامهم وسفاهةِ أفكارهم وحقد أسلافهم وتطاول غيهم وسوء سريرتهم، وإنَّ هذا النور الذي يحاولوا أن يطفئوه أو أن يُعتموه لمُحالٌ أن يقدروا عليه مهما علت مكائدهم أو تجمعت قواتهم، فهذا دين الله وشرعه ومنهاجه ونوره للعالمين، وهو الحق المبين، والصراط المستقيم، والعِلمُ والعمل، والخير في كل وجه، والبيان والتبيين، وما حلَّ وما حَرُم، وقد رضيه الله عز في عليائِه وأمر به فليس لهم عليه يَد مهما بلغوا من الكَّد، وسيعلمون وعيد أمرهم وجزاءهم بما صنعت أيديهم وعليه سيحاسبون وسيندمون ولن تغني عنهم أموالهم وما كانوا يملكون، وبكل ما عملوا فلن يصيب الدين أمر، وإن رأى أحدٌ ضعفاً فهذا ليس ضعفاً في الدين ولا في شريعةِ أحكم الحاكمين ولا خللاً به، بل هو مصابٌ يصيب من ابتعد عنه أو لم يتمثل به حق الامتثال أو أَساءَ ونسبَ نفسه للدين أو من كان مقهوراً على أمره ضعيفاً لم يستطيع أن ينصر الدين للضعفِ الذي أَصاب المسلمين بما تركوا من التطبيق الحق والاحتكام لمنهاج رب العالمين، وإنَّ هذا الضعف عارضٌ زائل ومتى ما عدنا لأمرِ ربنا وتَمَسكنا بديننا واحتكمنا لشرعنا فسيذهب ذلك كله ويكون لنا بأمر الله العلو والتمكين والريادة وحمل الراية التي كانت

مسؤوليتنا تجاه العالمين بما كنا ولا زلنا خيرَ أمة أخرجت للناس.

ولهذا نذكر هنا، لنعي ويعي المسلمين كيف يريد إعداءنا ايجاد إسلام جديد يوافقهم ويرضون عنه، وبشكل نقاط سنذكر آمالهم وأهداف أعمالهم ليسهل فهمها وايقاعها بحثاً مع بعض حال الواقع وتوجهات الطالبين والداعيين لإيجاده والذي به نعرف ماذا يمكرون وما يتأملون بها هم يكيدون:

* يريدون إِسلاماً ذو طابع شخصي يقتصرُ على العبادة الفردية، ومنعزل عن التأثير في الآخرين...

* يريدون إسلاماً خالياً من مفهوم الجهاد أو الترابط بين العقائد والقتال المشروع...

* يريدون اسلاماً ومنهجاً جديداً يتناول تفسير النصوص والتعاليم وفق منظورٍ حداثي ومادي متوافق مع العصر الحديث...

* يريدون إِسلاماً خالياً من قيود على الأفراد ذات وجهةِ نظر عقائدية أو أحكام شرعية بل نظام يقدم المَدَنِيَّة والأحكام الإنسانية المعمول بها عالمياً...

* يريدون إسلاماً يخضعُ للعقل ويتوافق مع القناعة العقلية أو التجربة المادية المُجردة وهذا خروجٌ سافر على الإيمان بالغيب والتعاليم العلوية والالتزام بالثوابت.

* يريدون تجديد الخطاب الديني والقَبول بالآخر قَبولاً تشاركياً والذي قد يتأتى عنه عندنا عدم الأخذ بالمُسَلَّماتْ العقدية والأحكام الشرعية، وحصول التنازلات على حساب الأصول والثوابت الإِسلامية...

* يريدون إِسلاماً متناغماً مع الحضارة الغربية أو ذائباً فيها سائراً في فلكها...

* يريدون إِسلاماً شكلياً، وليس منهجاً لحركة الحياة ومقياساً حقيقياً للعمل...

* يريدون إِسلاماً فقيراً إلى غيره تائهاً بين إثبات نفسه والدفاع عنها...

* يريدون إِسلاماً ضعيفاً في ذاته ضعيفاً في جَمعِ أتباعه وتوحيدهم...

* يريدون إِسلاماً منعزلاً خامداً وليس ذو رسالة وتوجهٍ عالمي في الدعوة والارشاد..

* يريدون إِسلاماً بأفرادٍ يندمجون أو يتقبلون القِيَّم والسلوكيات الغربية...

* يريدون إِسلاماً يخلو من قوةٍ قد ترفعه يوماً فيصبح له مكانة عالمية...

* يريدون إِسلاماً متفرقاً، ولكل دولة تأخذ به أن يكون لها ميولٌ قومية او انتماءات خاصة وهذا بدورهِ يمنع من وجود وحدة أو خلافة واحدة...

***

منابع العداء للإسلام

ارتأينا أن نضع في نهاية الكتاب خلاصةَ بعض مُجملِ الأسباب التي ينعقدُ تحتها العداء للإسلام وهذه الأسباب هي من وجهة تحرك ونظر من نصب العداء للإسلام، والتي كانت عِنده لظلمِ نفسه ولمعاداةِ غيره محركاً محفزاً لشن العداء على الإسلام وأَهله وبذل الجهد في تقويض هذا الدين، وعدائهم للإسلام بدايةً هو اعتراضٌ وإنكار لمنهجٍ وُضعَ للبشرية رَضيه الله لعباده، وبالتالي هذا جحودٌ منهم وخروج عن الطاعة والتسليم، ولهم على ذلك سوءُ الجزاء وهو مرافقة الجاحد الأول في دركات الجحيم.

وإنَّ هذه الأسباب هي من استشهادٍ ظاهر من وقائعَ حصلت أو في إقرار انفسهم بما أبدته كلماتهم او ما ارتكبتهُ أيديهم على مر التاريخ، والذي يظهر بعنفوانه وتعدد وجهاته ومدى تأثيره بشكل واضح في عصرنا الحديث، فالناظر لحال العالم ولحال المسلمين اليوم يعرف ويعاين ما يُوَجَهُ إِليه من هجمات تلو الاعتداءات وزرع التفرقة وإلقاء الشُبهات وتهميش العالم الإِسلام وتقويض الشريعة وسد طرق الدعوة، وتلك الأبواق الإعلامية ووسائل التواصل التي أُقتُطِع منها جزءٌ كبير ووقت وجهد كثير لتشويه صورةِ الإِسلام والمسلمين، ومع ذلك وحتى إن كانَ أكثر من ذلك فذلك الجبل السامق والمنهج العظيم لمحالٌ عليهم ان يزحزحوه أو أن يُلغوا منهجه ويمحوا تعاليمه فهو مُتَعَهدٌ بحفظه منقول بالصدور محفوظ فيها تُبذل له الأرواح دفاعاً عنه إعلاءً لكلمة الله، وشاهدُ الماضي يَعرِفُ الإِسلام ويعرف مكانته وشاهد الحاضر يعرف الحق إن لامسه، وإن كانت جولة الشيطان وأتباعه ناشطة في هذا الزمان فهي نار ما تلبث أن تُحرق نفسها فتصبح رماداً تذروها رياح الحق والدعوة، وإِنَّ عباد الرحمن وأهل الإيمان لَلَهُم الفوزَ والعلو والقَبول، ويكفيهم أنَّهم تحت راية الإِسلام وعبادٌ للكريم المنان، وإِنَّ الماضي ليشهد ما كان عليه المسلمون وإنَّ المستقبل ما زال مفتوحاً، وإن كانت للظالم جولة فللحق جولات، ويوم الحساب يقول من كان من أهل الظُلم حين لا ينفع الندم كما أخبر عنهم الله سبحانه: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ

ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ ﴾[الملك: 10].

فالحق حقٌّ منجاةٌ لصاحبِهِ خيرٌ له، فالحمد لله أن أنعَمَ علينا بالإِسلام ولم يجعلنا من هؤلاء اللِئام الذين كانوا أعوان الشيطان وعادوا أهل الإيمان، ولذلك نوردُ هنا كما قلنا بعض الأسبابِ المُجملة والتي ورد شرحٌ مختصر لها في مضمون ما ذكرنا من أبوابٍ سابقة وعَرِفَ القارئُ الكريم منها هؤلاء الشخوص من هُم وماذا يكيدون وعلى أيِّ نبع من العداء يستقون وبأَنَّهم مكشوفون، ولتطمأنَ نفسهَ أنَّ أهل الحق يقظون، وصحوة الإِسلام فاعلة، وأهل العلم يجاهدون بنشر العِلم والدعوة والذَّبِ عن حياض الدين وأَنَّ طرق العودة للدين مزدحمة من أتباعه ومن غيرهم؛ من أتباعهِ بعودتهم إلى حسن التطبيق وإعْمالِ الشريعة ومن غيرهم ممن دخل فيه جديداً بفضل الله ثم بجهد الدعوة لمّا رأوا نوراً يهدي للحق وجمالاً هو الحق...

أسباب ومنابع العداء:

* سبب ايديولوجي عَقَدي، فالتفاوت العقدي بين الإِسلام وسائر الديانات واضحٌ خاصةً بين الإِسلام مع اليهودية والنصرانية لأنَّهم مشتركون في كونهم رسالات سماوية وأتى الإِسلام بدعوة التوحيد ونسخ الرسالات السابقة وهذا عندهم فيه تمادٍ مزعوم وذهابٌ لما عندهم.

* لأن الإِسلام مركز قوة، ويدعو للوِحدة وجاذب لأتباعهِ للتكامل والتوحد، وفي حال حدث هذا التكامل والوحدة بشكل أمثل فذلك يعني بروز قوة عالمية يستحيل السيطرة عليها.

* الحقد والحسد ونظرة الاستعلاء وحب الهيمنة والتحكم، وإنَّ الحقدَ والحسدَ لمن خصال ابليس التي تسببت في هلاكه، وسبحان ربنا اذ يقول: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٠٩ ﴾[البقرة :109].

* الحروب الصليبية (من القرن 11 – 13) والتي وَرِثَ تِرِكَتها الفكرية والعقدية العديد مِمَّن نصبوا العداء للإِسلام.

* الحروب بين الخلافة العثمانية وأوروبا، ورواسب هذه الحروب في تراثهم وثقافتهم ونظرتهم للإِسلام، مع الأثرِ البالغ عندهم لسقوط القسطنطينية على يد محمد الفاتح في القرن الخامس عشر.

* دور الاستشراق في تشويه التراث الإِسلامي.

* دور الغزو الفكري في تعتيم الصورة وقَلبِ الحقائق وتشويها.

* الجهل بحقيقة الإِسلام وتعاليمه وأحكامه وشريعته، فالجاهل بمحاسن الإِسلام غير مدرك لمقاصده السامية التي جاء لتحقيقها للعالمين ورفع البشرية لمقامها المحمود المرتبط بالتكريم الملازم لتحقيق العبودية.

* النظرة السلبية والمشوبة بالخوف نتيجة التصوير المُبْتَدَع للإِسلام على صورة ومفهوم الإِسلاموفوبيا.

* النمو المُطَّرد للإِسلام وانتشاره في الغرب نُمواً بالتعداد وبقوة التأثير.

* ظهور علامات الصحوة الإِسلامية وتحركات القلوب والعقول إلى العودة لتطبيق الشريعة الإِسلامية والتمسك بالدين كمنهج اساسي.

* الموروث السلبي القديم والمتجدد عن الإِسلام والمسلمين والمبني على الافتراء والتدليس، ودلائل ذلك ظاهرةٌ في طريقة عرضهم للإِسلام وتناول أمره.

* التبشير من قبل الجمعيات والكنائس والمراكز وغيرها وما يترتب عليه من تشويه أو طعن لهدم الأصل والبناء عليه بِنَظَرِهم .

* الخوف من تَغَيُّر المجتمعات غير الإِسلامية لازدياد عدد الأفراد الداخلين فيها للإِسلام وبالتالي وضع السدود للحيلولة دون ذلك.

* الإِسلام يكشف زيغ الآخر وبُطلان قوامته وهشاشة معتقداته.

* عالمية الإِسلام وأنَّه منهج للبشرية جعلت العلمانية والليبرالية والشيوعية ومن

هو على شاكلتهم في صدام معه وتعارض.

* قياس بعض الأحداث ولصقها بالإِسلام ووَصفُهُ بالإرهاب.

* بعض الأحداث التي تُرتَكَب في الدول الإِسلامية والتي هي بعيدة عن التوجيه أو التَّوجه أو القَبول الإِسلامي وحتى بعيدة عن الإنساني والتي تترك سوء انطباع وسوداوية النظرة للبلاد الإِسلامية مع أنَّ الاسلام منها براء.

* الثقافة المادية والإباحية السلوكية والتي تغذت عليها المفاهيم لدى الغرب أو غير المسلمين.

* التعارض الواضح بين منظومة القِيَّم الإِسلامية والقيَّم الأخرى... مع وجود بعض المشتركات.

* رفض الإِسلام الذوبان والاندماج بالآخر.

* اعتماد مفهوم صراع الحضارات أمراً واقعاً، ومطلوباً أحياناً عند بعض السياسات للبقاء على ايجاد عدو محتمل لازم لتنفيذ الأجندات.

* لأن سيادة التوجه الإِسلامي في اتخاذ القرار السيادي يلغي استنزاف مقدرات الدول الإِسلامية ويلغي معها التبعية الحاصلة.

* اللوبي الصهيوني والصهيونية العالمية ومن في فلكهم من القائمين على رعاية الكيان الغاصب لفلسطين يعلمون خطر الوحدة الإِسلامية والإِسلام على وجود هذا الكيان وبقاءه.

* وجود وحدة وكلمة اسلامية موحدة وتوافق يعطل منظومة التحكم في سيادة العالم من قبل بعض الدول المسيطرة على القرار العالمي.

* سلوك بعض المنافقين والفرق أو الأفكار المنحرفة والتي لا تمت للإِسلام حقيقةً بأي صلة والتي أعطت صورة مغلوطة عن الإِسلام ومنفرة عنه.

* دور الإعلام العنصري أو المُمَوَّل من قِبل جهة معينة والهادف إلى قلب الحقائق وتزييف الواقع واعطاء صورة وانطباع سيء عن الإِسلام والذي يُعد في كثير من

الأحيان تابع أصيل وأداه عدائية فعالة.

* من أسباب العداء على مستوى الأفراد هو قياس الإِسلام وفق المفهوم والمصلحات الغير الإِسلامية، والتي يحدث معها اضطراب في فهم حِكَمْ وحقائق وتعاليم الإِسلام... وأيضاً خوفهم من تغيير نمط الحياة والسلوكياتْ القائمين عليها.

* الاعتقاد بأنَّ الإِسلام مقيد للحرية وتعطيل لأنظمة الحياة وتركيز على الملذات وعنف في السلوكيات وهذا الفهم القاصر والعقيم إنَّما هو صورةٌ مُفتراه وكذب قاتم.

* من غريب الأسباب، مسألة توارث العداء، فالبعض يحمل إرثاً من العداء عمن سبقه دون أن يكلف نفسه مؤونة البحث والإِنصاف.

* من أسباب العداء العامة للإِسلام هو رفض مسألة الدين عموماً وتقديم العقل أو العلم على متعلقات الوحي أو الغيبيات وهذا الميل نجده في الملاحدة والمنكرين.

وختاماً فإنَّنا وإن كنَّا أبرزنا ما هم عليه فهذا ليس منا تعظيماً لشأنهم أو إحباطاً لأنفسنا، لكنه جُهدِ المقل دفاعاً ونصرةً للدين وبياناً لما يجول حولنا من خطر يحاول أن يخترق سور شرعنا ويهدم بنياننا أو يلغي هويتنا وتعلقنا بديننا أو أن يجعلنا نذوب في حضارته ونندمج مع قِيَّمه، وإِنَّنا بها ذَكرنا، وما عنه غفلنا تقصيراً منا ويَعلَمُهُ علماؤنا وكل غيورٍ مدافع عن الدين وصاحب هم جعل هَمَّهُ في تنقية صورة الإِسلامِ والمسلمين هو لمعرفة هذا المرض الذي أصاب الأمة وظهرت أعراضه، فنقف كلنا لنعالج هذا المرض ونتخلص من أعراضه ونوجِد المناعة لئلا يصيبنا أو من بعدنا من أجيال الإِسلام من جديد، فَعِلمُنا بها يواجِهنا وما يُخطَطُ لنا من وباء هو من أصل الدواء، معتمدين في كل ذلك على الله سبحانه ومنه مُستمدين قُوتنا وحَوْلَنا وداعين أن يرفع عنا ما أصابنا من وهن وبلاء وأن يعِزَّ الإِسلام والمسلمين وينصر الحق والدين ويعلي راية الإِسلام في كل حين وكل مكان لأنَّه النور والهداية والخير للبشرية ودوام السعادة وكمال الغاية فسبحانه ربي إنَّه هو السميع العليم وإنَّه على كل شيء قدير.

قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ

ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: 51].

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ﴾ [الأنفال: 59].

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة:33].

فاعلم أخي وكن على يقين أنّ المستقبل للإسلام شاء من شاء، وأبى من أبى، فكلمة الحق ورسالة الحق لا بد ان تُحق وإنّ الله سبحانه وتعالى هو الحق وإنّه لا يُخلفُ وعده وإنّه حافظٌ هذا الدين وجاعلٌ له التمكين.

***

كتبه العبد الفقير إلى ربه الراجي عفوه

محمد بن فوزي الجبالي

أبو إسلام

25/كانون الثاني/2020

الموافق

30/جمادى الأول / 1441.

qmmmq2002@gmail.com

***

فهرس الموضوعات

الموضوع		الصفحة
الإهداء		5
المقدمة		6
الجزء الأول		-
عذبٌ فرات ...		9
لماذا اخترنا الإسلام؟		10
خلق الإنسان، وما هو، وما هي منزِلتُه؟		12
ضوابط القَبول والمقاييس لاختيار الدين الحق		18
الضابط الأول		19
الضابط الثاني		21
الضابط الثالث		22
الضابط الرابع		23
الضابط الخامس		24
الضابط السادس		26
الضابط السابع		28
الضابط الثامن		29
الضابط التاسع		30

الضوابط العاشرة		32
الإسلام، ما هو الإسلام؟		35
بيان الغاية من خلق الإنسان وحقيقة الوجود		41
إعطاء الصورة الصحيحة لخلق الكون والإنسان وبداية النشأة		44
الإسلام منهجُ حياة كامل		47
الثبات والاتزان والحفظ في ذات المنهج ومعطياته		51
احترام العقل والتوافق مع الفطرة السوية		54
حفظ الفرد والأسرة والمجتمع		57
حفظ الحقوق ومنع التعدي ونظام العقوبات		59
تكريم الإنسان والإنسانية وإيجاد السعادة في الدارَيّن		62
مراعاة الإنسان كجسد وروح		63
معاملتهُ لغير المسلمين		63
سعة الرصيد العلمي والفقهي		64
احتواء حركة الحياة بالقوانين المُنَظِّمة والتعاليم الكاملة		64
وضوح الصورة في الشريعة، وكمال القدوة في شخص النبي ﷺ		65
بينَهما برزخ		66
الجزء الثاني		72
ملحٌ أُجاج، لماذا يعادون الإسلام؟		73
الشيطان والعداء الأول		77

مداخلة		80
العداء في بداية الوحي وصَدِّهم الدعوة		82
المستشرقون		86
أحفاد المستشرقين (المستشرقون الجُدُد)		93
العلمانية		96
الملاحدة		102
العقلانيون		109
الحداثيون		118
الإسلاموفوبيا		123
عداءِ الفرق المُخالفة والتي دخلت تحت ظل الإسلام		128
لماذا دين الإسلام دوناً عن غيره من الأديان يجتمعُ عليه العداء؟!		132
معادة الوِحدة الإسلامية		135
الإعلام تابع أم مُستقل في العَداء		139
الغزو الفكري على الإسلام		145
من وجهةِ نظر أعداءه كيف يريدونَه (الإسلام الجديد)		150
منابع العداء للإسلام		154
الفهرس		160

***